الزواج الرابع للأمبراطور ليو السادس

(٨٨٦ - ٩١٢م)

الأبعاد الدينية والدلالة السياسية

دكتور
وسام عبد العزيز فرج
قسم التاريخ - جامعة المنصورة

١٩٩١م - ١٤١٠هـ





دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣



الزواج الرابع للامبراطور ليــو الســادس

الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس

(٨٨٦ - ٩١٢)

الأبعاد الدينية والدلالة السياسية

دكتور

وسام عبد العزيز فرج

قسم التاريخ ـ جامعة المنصورة

١٩٩١

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير ـ الأزاريطة
الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ليس الغرض من تصنيف هذا المؤلف أن أضيف كتابا آخر فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية الى ماهو موجود منها من قبل ، وانما الغرض الذى أبغيه هو طرح قضية من قضايا التاريخ الاجتماعى وأشكالية من اشكالياته وتناولها بمنهج يتجاوز الوصف الى البحث الدقيق فى جذورها، والتحليل الموضوعى لأبعادها ، واستخلاص دلالاتها • والقضية المطروحة هنا هى الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس المعروف بليو العاقل (٨٨٦ — ٩١٢م) وما اثارته من نزاع وخلاف فى مطلع القرن العاشر الميلادى فى الدولة البيزنطية • واذا كان الخلاف قد احتدم حول هذه القضية بين الكنيسة والقصر وأحدث انقساما فى الكنيسة البيزنطية ، فيجب ألا ننسى أيضا أن مسألة الزواج للمرة الرابعة كانت من تجاوزات السلوك الاجتماعى والأخلاقى المتعارف عليه فى بيزنطة وأثارت نقاشا وجدلا واسعا واستأثرت باهتمام الجموع العريضة فى المجتمع البيزنطى•

ويحتوى هذا الكتاب على تسعة فصول صغيرة فضــــلا عن تمهيد وخاتمة مستوفية الحـــواشى • ويتناول التمهيد ظروف اعتلاء كل من الامبراطور ليو السادس العرش البيزنطى ، ونيقولا مستيكوس كرسى بطريركية القسطنطينية ، وهما الشخصيتان الرئيسيتان فى هذه الدراسة• أما الفصل الأول فيتناول مفهوم الزواج فى بيزنطة وموقف الكنيسة من مشروعية تكراره ، وفيه يتضح اختلاف وجهتى نظر كنيستى القسطنطينية وروما بالنسبة لعدد مرات الزواج التى تتسامح فيها كل منهما • ويتناول الفصل الثانى حياة الامبراطور ليو السادس الخاصة وزيجاته السابقة التى انتهت بوفاة زوجاته الثلاث على التوالى ، وظروف زواجه الرابع

الذى فجر الأزمة وأثار الخلاف • أما بقية الفصول من الثالث الى التاسع فتعالج بالتحليل الموضوعى أبعاد الأزمة ومراحلها وتداعياتها فى الداخل والخارج والدور البارز الذى لعبه البطريرك نيقولا مستيكوس فيها • أما الخاتمة فتتناول الدلالة السياسية لقضية الزواج الرابع وما تعكسه من طبيعة العلاقة بين الكنيسة والدولة فى بيزنطة •

وقد اعتمدت فى هذا الكتاب على كل المصادر التاريخية المعاصرة التى توفرت لى • فتتبعت تشريعات الزواج فى القوانين الكنسية ومجموعات القوانين المدنية التى صدرت منذ عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ ــ ٤٥٠م) وحتى عهد الامبراطور ليو السادس فى مطلع القرن العاشر الميلادى • ورسائل البطريرك نيقولا مستيكوس الوافرة،وكتابات ارثاس أسقف قيصرية التى تتضمن رسائله وخطبه ومراثيه • وتراجم حياة وسـير الامبراطورة ثيوفانو (الزوجـة الاولى للامبراطور ليو السادس) ، والبطريرك انطـون كاولياس ، والبطريرك ايثيميوس • والمؤلفات العقيدية والحوليات البيزنطية التى تناولت أحداث الربع الأول من القرن العاشر الميلادى ، وكتابات الامبراطور قسطنطين السابع ابن ليو السادس وخاصة كتابه الخاص بمراسم القصور • وبالاضافة الى ذلك رجعت الى مجموعة ضخمة من المراجـع والدراسات الاوروبية المتخصصة على اختلاف لغاتها والتى تعد على جانب كبير من الأهمية ، كما طالعت العدد القليل من الدراسات العربية والمعربة التى أشارت الى موضوع هذه الدراسة •

هذا ، وقد تم جمع وثائق هذه الدراسة ومصادرها خلال زيارتى العلمية لجامعتى ميونخ وبرلين الحرة فى جمهورية ألمانيا الاتحادية فى صيف سنة ١٩٨٩ م• ويسرنى أن أتقدم بالشكر لمؤسسة الكسندر فون همبولدت Alexander von Humboldt لما قدمته من دعم وتسهيلات ورعاية وتشجيع طوال فترة الزيارة التى استغرقت ثلاثة أشهر • كما ينبغى أن أشير بمزيد من الامتنان والشكر للاستاذين الفاضلين الاستاذ الدكتور

بول شبك Paul Speck أستاذ كرسى التـــاريخ والحضارة البيزنطية ومدير معهد الدراسات البيزنطية بجامعـــة برلين ، والاستاذ الدكتور ارمين هولفج Armin Hohlweg مدير معهد الدراسات البيزنطية فى جامعة ميونخ ورئيس تحـــرير دورية Byzantinische Zeitschrift لما قدماه من معاونة صادقة فى تيسير الحصول على وثائق هذه الدراسة •

لقد حاولت جهدى أن أكون موضوعيا فى تناول هذه المادة التاريخية الوفيرة وأن أقدم طرحا نقديا واضحا وموثقا فى كل صغيرة وكبيرة • واتبعت فى حواشى هذه الدراسة وفى قائمة المصـــادر والمراجع نظام المختصرات الحديث الخاص بالدراسات البيزنطية والذى صدر بخصوصه دليـــل تم نشره فى دورية Dumbarton Oaks Papers العـــددين ٢٦ (١٩٧٢م) ، ٢٧ (١٩٧٣م) • وأرجو أن أكون قد وفقت فى اضافة لبنة متواضعة الى التاريخ الاجتماعى للدولة البيزنطية • وأن تكون هـــذه الدراسة اسهامة فى اثراء المكتبة العربية التى مازالت تحتاج الى جهود الباحثين المخلصين فى حقل الدراسات البيزنطية •

وتجدر الاشارة الى أن هذه الدراسة كان من المفروض أن تظهر فى حوليات كلية الآداب جامعة الكويت فى خريف ١٩٩٠م ، ولكن اندلاع أزمة الخليج حال دون ذلك مما دفعنى الى التعجيل بنشرها حفاظا على حقوق التأليف من عبث العابثين •

والآن ••• يسعدنى أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى ، عرفانا واعزازا ، لأساتذتى وزملائى وأصدقائى فى مصر والكويت وبريطانيا وألمانيا الاتحادية والولايات المتحدة الامريكية لجميل رعايتهم ودوام تشجيعهم • وأخص بالشكر جامعة الكويت التى لم تبخل على البحث

العلمى وأهتمت دائما بدعمه فتحملت نفقات سفرى لحضور مؤتمرين علميين الأول فى مارس ١٩٨٩م فى برمنجهام بالمملكة المتحدة ، والثانى فى أكتـــوبر ١٩٨٩م فى امهرست ــ ماساتشوستس بالولايات المتحـــدة الامريكية •

والله أسأل أن يوفقنا سواء السبيل ،،،

وسـام عبد العزيز فرج

جليم ــ الاسكندرية أول أكتوبر ١٩٩٠م



واجهت النهضة التى بدأها الامبراطور باسيل الاول المقدونى (٨٦٧ – ٨٨٦م) اختبارا صعبا فى السنوات الأخيرة من القـرن التاسـع الميلادى • فلم يكن عهد خلفه الامبراطور ليو السادس (٨٨٦ – ٩١٢م) عهد استقرار فى الداخل أو انتصارات بارزة فى الخارج• لقد كانت حياته الخاصة مليئة بالهموم ، كما شهد عهده عددا من الكوارث العسكرية فى البر والبحر خلال حروبه ضد البلغار والمسلمين • وزاد من تعقيد الموقف الخـلاف العنيف بين الامبراطور وكنيسة القسطنطينية بسبب اصراره على انجاب وريث ذكر يتولى العرش من بعـده ، واضطراره للزواج للمرة الرابعة منتهكا بذلك الأعراف والقوانين الكنسية والمدنية على حد سواء•لقد أدى النزاع بين القصر والكنيسة الى القضاء على سلام قصير العمر داخل الكنيسة البيزنطية كما فتح البـاب من جديد أمام تدخل كنيسة روما •

من الأفضل أن نعود الى باسيل المقدونى • المعروف أنه قتل سيده الامبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٣ – ٨٦٧م) ، ونجح فى اعتلاء العرش فى ٢٣ من سبتمبر ٨٦٧م ، وامتد حكمه حتى ٢٩ من أغسطس سنة ٨٨٦م مؤسسا بذلك الأسرة المقدونية ، التى امتد حكمهـا حتى سنة ١٠٥٦م والتى عاشت الامبراطورية فى ظلهـا عصرها الذهبى • أنجب باسيل المقدونى أربعة أبناء : قسطنطين من زوجته الأولى قبل التحاقه بخدمة سيده الامبراطور ميخائيل الثالث ، وثلاثة أبناء : ليو واسكندر وستفن بعد زواجه من ايدوكيا انجرينا Eudocia Ingerina ، محظية الامبراطور السابق ميخائيل الثالث • ومن أجل ضمان تعـاقب الأبناء من بعـده

واستمرار حكم أسرته ، قام الامبراطور باسيل بتتويج ثلاثة من أبنائه أباطرة مشاركين ، ففى ٦ من يناير سنة ٨٦٩م توج ابنه الأكبر والمفضل قسطنطين ، وبعد ذلك بعام توج ابنه الثانى ليو ، وفى ٨٧٩م تم تتويج ابنه الثالث اسكندر[١] • أما ستفن أصغر الأبناء فقد اختار له مسارا آخر بالانخراط فى سلك رجال الدين وقدر له أن يشغل بعد ذلك منصب بطريرك كنيسة القسطنطينية كما سيتضح فيما بعد • على أية حال ، لم يقدر للابن الأكبر قسطنطين أن يتولى العرش اذ توفى فى حياة أبيه مفسحا المجال أمام ليو الذى اعتلى العرش فى ٣٠ من أغسطس ٨٨٦م ، وهو فى العشرين من عمره تقريبا ، باسم ليو السادس وعرف بالعاقل أو الفيلسوف[٢] •

عندما توفى الامبراطور باسيل المقدونى ، كان الانقسام فى الكنيسة البيزنطية ، بين المتشددين من أنصار البطريرك السابق اجناتيوس Ignatios والمعتدلين من أنصار البطريرك فوتيوس photios ، لا يزال قائما • ورغم قيام الامبراطور ليو السادس فى بداية عهده بعزل فوتيوس،فان تعيين أخيه الأصغر ستفن بطريركا لكنيسة القسطنطينية فى ديسمبر سنة ٨٨٦م لم يؤد الى استرضاء الحزب المتشدد الذى رفض قبول البطريرك الجديد ، الذى لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ، لأن فوتيوس هو الذى رسمه شماسا[٣] • ورغم اختلاف المؤرخين فى أسباب عزل البطريرك القوى فوتيوس للمرة الثانية فمن المرجح أن ليو السادس عزله ليفسح الطريق أمام تعيين أخيه الأصغر ستفن على رأس الكنيسة البيزنطية لتكتمل بذلك سيطرة الامبراطور على شئون الكنيسة والدولة معا[٤] • ولكن البطريرك ستفن لم يعمر طويلا ، اذ توفى فى مايو سنة ٨٩٣م ، وفى أغسطس من نفس العام اعتلى انطون الثانى كاوليياس Anthony II Kauleas عرش بطريركية القسطنطينية • ويبدو أن البطريرك الجديد كان مقبولا من الأطراف المتنازعة داخل الكنيسة ، فبفضل مساعيه الحميدة فضلا عن مساعى الامبراطور تمت المصالحة

أخيرا بين المتشددين والمعتدلين فى الكنيسة البيزنطية ، وباركتها البابوية حوالى سنة ٩٠٠م[٥] • وهكذا عندما اعتلى البطريرك نيقولا مستيكوس Nicholas Mysticos عرش بطريركية القسطنطينية سنة ٩٠١م ، عقب وفاة كاولياس ، كان السلام يسود ربوع الكنيسة البيزنطية •

عاش نيقولا مستيكوس الجزء الأكبر من حياته خلال النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى ، أى خلال فترة الانقسام والخـــلاف فى الكنيسة البيزنطية • فقد ولد فى سنة ٨٥٢م ، وتروى المصادر أنه كان من أصل ايطالى،كما كان يمت بصلة قرابة للبطريرك الشهير فوتيوس[٦] • ويبدو أن ارتباطه به كان كبيرا فهو يشير فى احدى رســـائله الى أن فوتيوس كان أبا روحيا له[٧] • ومن المرجح أن فوتيوس بعد اعتـــلائه عرش بطريركية القسطنطينية للمـــرة الثانية سنة ٨٧٧م ، عقب وفاة اجناتيوس ، قد أصبح أيضا أبا روحيا لأبناء الامبراطور باسيل الأول (وخاصة لابنه الأوسط ليو)[٨] •ومن خلال أبوة فوتيوس الروحية لكل من نيقولا وليو ارتبط الاثنان بأخوة روحية أشارت اليها المصادر[٩] • كما كان فوتيوس معلما لهما • فقد عهد باسيل الأول لفوتيوس منـــذ سنة ٨٧٥م تقريبا بتعليم أولاده ، ولما كان نيقولا تلميـــذا لفوتيوس ، فقد تعرف على الأسرة الامبراطورية وأقام علاقة طيبة بالابن الثانى ليو • ومن خلال تدريس فوتيوس لهما أصبحا أيضا زميلى دراسة رغم فارق السن بينهما[١٠] • وأثبتت الأحداث أن هذه الصلة المبكرة بين نيقولا وليو (الذى ارتقى العرش بعد ذلك باسم الامبراطور ليو الســـادس) كانت السبب فى صعود نجم نيقولا فيما بعد •

لا تذكر المصـــادر شيئا عن الوظائف التى شـــغلها نيقولا خلال بطريركية فوتيوس الثانية (٨٧٧ ــ ٨٨٦م) • على أية حال ، أثار العزل المفاجىء للبطريرك فوتيوس فى سبتمبر ٨٨٦م ، وما أعقبه من حـــركة تطهير واضطهاد بين أنصاره وأصدقائه وأقاربه فزع نيقولا ، فلجأ الى

دير القديس تريفون St. Tryphon فى خلقدونية حيث اتخــذ حيــاة الرهبنة[١١] • ولكن فترة اعتزاله الاختيارية فى الدير لم تستمر طويلا ، فقــد استدعاه الامبراطور ليو السادس فى صيف ٨٨٨م وقام بتعيينه سكرتيرا خاصا له وأسبغ عليه اللقب الرسمى الدال على تلك الوظيفة ، مستيكوس Mysticos ، وهو لقب لازم اسمه حتى نهاية حياته[١٢] • وكان التعاون والثقة المتبادلة بين الامبراطور وسكرتيره الخاص مفيدة بالنسبة للأخير • فعندما توفى البطريرك أنطون الثانى كاولياس فى ١٢ من فبراير سنة ٩٠١م ، حرص الامبراطور على أن يتــولى نيقــولا مستيكوس عرش بطريركيــة القســطنطينية فى أول مارس من نفس العام[١٣] •

لا شك فى أن نيقولا كان يتمتع بعدة مواهب أهلته بجدارة لشغل هذا المنصب الرفيع على رأس الكنيسة البيزنطية • لقد نال بفضــل انتمائه لدائرة فوتيوس الثقافية أفضل تعليم معروف فى ذلك الوقت ، فكان رجلا مثقفا وخطيبا مفوها ، كما تكشف مراسلاته الواسعة عن سعة علمه ومهارته فى الفنون والآداب وخاصة البلاغة • لقد أجمــع معظم معاصريه على امتداح حكمته وفضائل أخلاقه وتمسكه الشديد بتعاليم الكنيسة[١٤] •

لعب نيقولا مستيكوس دورا رئيسيا فى النزاع بين الكنيسة والقصر حول قضية الزواج الرابع Tetragamy للامبراطور ليو العاقل • وقبل أن نتناول هذه القضية بالبحث ودوره فيها ، فمن الأفضل أن نبدأ ببيــان مفهوم الزواج وموقف كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما من مشروعية تكراره •

حواشى التمهيــــــد

١ - Grumel, **La Chronologie,** p. 357; Mango, **Homilies of Photius,** p. 179; Underwood and Hawkins, **Emperor Alexander,** p. 193; Ostrogorsky, **State,** p. 233.

وانظر أيضا :

Adontz, **L'Oraison Funèbre,** pp. 501-513.

٢ - توفى قسطنطين الابن الأكبر لباسيل المقدونى ، على الأرجح فى ٣ من سبتمبر سنة ٨٧٩م ، انظر :

Halkin, **Trois Dates,** pp. 14-17; Mango, **Homilies of Photius,** p. 179.

أما ليو السادس فيبدو أنه ولد فى سبتمبر سنة ٨٦٦م ، فهو يذكر فى خطبة تابين باسيل المقدونى (غالبا فى أغسطس سنة ٨٨٨م) من عمره كان اثنين وعشرين عاما . وعلى هذا كان ليـــو فى العشرين من عمره عند اعتــلائه العرش . ويميل معظم المؤرخين الآن الى تاكيد أن ليو السادس كان ابنا حقيقيا لباسيل المقدونى . للمزيد عن تاريخ ميلاد ليو الســادس وحقيقة انتسابه لباسيل المقدوى ، انظر :

Grumel, **Notes,** pp. 331-333; Adontz, **L'Oraison Funèbre,** pp. 503-513; Vogt, **Léon VI,** p. 389, n. 1.

ويعتبر ليو السادس هو الامبراطور البيزنطى الوحيد الذى عرف بالعاقل أو الفيلسوف **Philosophos** وهو لقب حمــله خلال حيــاته بسبب الكتــابات العديدة والمتنوعة التى سجلها قلمه من خطب ومواعظ دينية ، ومؤلفات أدبية ، وقوانين . ولا شك أن سعة علمه وثقافته ترجع الى تلقيه العــلم على يد العالم البطريرك فوتيوس ، انظر :

Ostrogorsky, **State,** P. 242; Vogt, **Léon VI,** pp. 403-428; Petit, **Homélies de Léon le Sage** pp. 245-249; Serruys, **Homelies de Léon le Sage,** pp. 167-170.

وانظر أيضا : أسد رستم : **الروم فى سياستهم وحضارتهم ، ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب** (دار الكشوف ، بيروت ١٩٥٦م) جـ ٢ ، ص ١٤ .

٣ - يبــــدو أن الأسقف ستيليانوس **Stylianus** أحد أقطاب الجنــاح

المتشددة داخل الكنيسة البيزنطية قد أرسل فى طلب الفتوى من البابا ستفن السادس Stephen VI (٨٨٥ ـ ٨٩١م) · وجاء فى رد البابا أنه يصعب عليه الحكم فى هذه المسألة دون معلومات كافية ، انظر :

Stephani Papae VI. Epistolae, Ep. IV, Cols. 795B-796C.

للمزيد عن عزل فوتيوس وتنصيب ستفن ، انظر :

Theoph. Cont., p. 354; **Sym. Mag.**, p. 700; **G. Mon. Cont.**, pp. 848-849; **Vita Euthymii**, pp. 11, 162; Ficher, **De Patriarcharum**, p. 292; Grumel, **La Chronologie, p. 436; Grumel, Les Regestes**, **p. 130.**

وانظر أيضا :
عبـد الرحمـن عبد الغنى : «فوتيـوس والقطيعـة بين كنيسـتى روما والقسطنطينية فى القـرن التاسع الميلادى» ، **عالم الفكر** ، المجلد ١٧ ، العدد ٣ ص ٨٢٨ ·

٤ ـ Ostrogorsky, **State, p. 241, n. 1.**

وقارن أيضا :

Dvornik, **Photian Schism**, pp. 241-243; White, **Patriarch Photios, pp. 36-37.**

٥ ـ انظر :

Vita Euthymii, pp. 65, 186-188; **Vita Antonii, p. 626.**

وعن قيام البابوية بارسال مبعوثين الى القسطنطينية لمباركة هذا الوفاق ، انظر الاشارة الواردة فى قائمة فيلوثيوس Philotheos التى نشرها بيورى Bury فى :

Bury, Admin. System, p. 155.

وانظر أيضا :

Dvornik, **Photian Schism**, pp. 262-271; Dvornik, **Second Schism, p. 471;** Maas, **Der Interpolator, pp. 257-261.**

٦ ـ للمزيد عن مولد نيقولا مستيكوس وأصله الايطالى ، انظر :

Fischer, **De Patriarcharum**, p. 293; Constantinides, **Nikolaos he Mystikòs**, p. 35; **Ephraemius**, p. 402.

أما عن صلة القرابة التى ربطته بفوتيوس ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 11, 163.

ويرى جنكنز أن نيقولا ولد من جارية ايطاليـــة فى بيت فوتيوس لأن معنى كلمة Oikogenes الواردة فى ســـيرة ايثيميوس لا تعنى القريب بل التـابع المرتبط بالأسرة ، انظر :

Jenkins, **Nicholas Mysticus**, p. 146.

٧ – **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 2, p. 12.

٨ – Jenkins, **Nicholas Mysticus**, p. 146.

٩ – **Vita Euthymii**, p. 11.

١٠ – **Vita Euthymii**, pp. 11, 85, 164; **Jenkins**, **Nicholas Mysticus**, p. 147.

كما أشار البطريرك نيقولا مستيكوس الى الامبراطور ليو الســـادس فى احدى رسائله باعتباره صديقا ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, p. 218.

١١ – **Vita Euthymii**, p. 11.

١٢ – طبقـــا لرواية صـــاحب ســيرة ايثيميوس ، قام الامبراطور ليـــو السادس باستدعاء نيقولا من الدير وعينه فى وظيفة مستيكوس Mysticus أى «سكرتير خاص» لأنهما كانا زميلى دراسة وارتبطا باخوة روحيـــة ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 11, 166.

ومن المحتمل أن تكون هذه الوظيفة بهذا اللقب قد ظهرت فى القرن التاسع الميلادى • ويرى البعض أن المستيكوس كان سكرتيرا خاصا للامبراطور ، انظـــر :

Bréhier, **Institutions**, p. 167.

بينما يرى البعض الآخر أنه كان سكرتيرا خاصا للبطريرك ، انظر :

Guilland, **Les Noces**, p. 14.

عــلى أية حال ، فى حالة نيقــولا ، تؤكد المصـــادر أنه كان مســتيكوس للامبراطور Mystikòs ón Toü Basileos انظر :

G. **Mon. Cont.** p. 860; **Leo Gramm.,** pp. 273-274.

١٣ ـ Fischer, **De Patriarcharum**, p. 292; **Grumel, Les Regestes,** no. 598, p. 133; Grumel, **La Chronologie**, p. 436; Vogt, **Patriarches de Constantinople,** p. 277.

ويلاحظ أن جريجوار ورانسيمان لا يوافقــان على هذا التاريخ ، فالأول يـحدد سنة ٨٩٩م تاريخا لاعتــلاء نيقولا عرش البطريركية ، بينما يـحدد الثانى سنة ٩٠٢م ، انظر :

Grégoire, **Neuvième Siécle**, pp. 540-550; Runciman, **Romanus Lecapenus,** p. 42

١٤ ـ **Theoph. Cont.,** p. 364.

وانظر أيضا ، كلمات الاطراء التى ذكرها ارثاس Arethas المتحــدث الرســمى فى القصر أمام الامبراطور بمناسبة تعيين نيقــولا بطريركا سنة ٩٠١م ، ومرة أخرى فى الاحتفال بمرور عام على هذا التعيين :

Jenkins, Laourdas, Mango, **Nine Orations**, pp. 17, 37.

الفصل الأول

الزواج فى بيزنطة وموقف الكنيسة من مشروعية تكراره



كان الزواج فى القانون الرومانى عبارة عن تعاقد بين رجل وامرأة أساسه الاتفاق فاذا وقع الاتفاق انعقـــد الزواج ، سواء أتبع ذلك الاحتفـــالات المعتادة أم لا[1] • وكانت قراءة بنـــود العقد تتم يوم الزواج ، ويتم التوقيع عليه من قبل طرفيه ثم الشهود[2] • كذلك كان وقوع الاختلاف يعد أساس الغاء التعاقد وحدوث الطـــلاق • وكان فسخ عقد الزواج شأنا خاصا وفى امكان أى طرف من طرفيه أن يفعل ذلك متى شاء دون ابداء السبب[3] • وبطبيعة الحال ، كانت وفاة أحد الزوجين تعنى أن عقد الزواج أصبح لاغيا • وهكذا كان الطلاق والزواج مرة أخرى أو أكثر من الظواهر الشائعة فى العصر الرومانى[4] •

ثم جـــاءت المسيحية بصورة مثالية للزواج • اذ اعتبرته ارتباطا ومشاركة روحية لا انفصام لها • فلا يملك الانســـان ، من الناحيـــة النظرية ، أن يفسخ تلك العلاقة لأن ارادة الله كانت متوافقة مع ارادة الرجل والمرأة عند انعقاد طقس الزواج • •ولقد شبه القديس بولس ارتباط الزوج بزوجه بذلك الارتباط القائم بين السيد المسيح ـــ عليه السلام ـــ والكنيسة • وعلى هذا فللزواج ارتباط مقدس لأنه تقـــرر بمشيئة الله ومبـــاركته ، كما أنه ارتبـــاط دائم لا انفصـــام له لأنه مقدس[5] • ولما كان الغرض الأساسى للزواج فى مفهـــوم الكنيسة البيزنطية تحقيق التكامل الروحى والمعنوى لطرفيه ، فلا انفصام لهذا الارتباط حتى لو قضى الموت على أحد طرفيه ، لأنهما كيـــان واحد فى الأرض وفى السماء • أما كنيسة روما فقد اختلف مفهومها لأبدية العلاقة الزوجية ، اذ كانت ترى أن رباط الزواج المقدس دائم لا انفصام له طالما استمر طرفاه على قيد الحياة فقط[6] • وعلى أساس هذا التصور

المثالى للزواج قامت الكنيسة باصدار عدد من القوانين الكنسية فى سعيها لتوضيح وتنظيم الزواج[٧] .

أما الدول البيزنطية ــ التى ورثت القانون الرومانى فضــلا عن العديد من النظم والتقاليد الرومانية ــ فقد نظرت الى الزواج كعقد ، ولم يقم أباطرة العصر البيزنطى المبكر بالغاء الطــلاق . فالامبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٦ ــ ٣٣٧م) أباح الطلاق فى حالات معينة مثــل الخيانة الزوجية وارتكاب جريمة القتل[٨] . كذلك أباحت تشريعــات الامبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ ــ ٥٦٥م)الطــلاق فى حالات الخيانة الزوجية وجرائم القتــل والوقوع فى الأسر وازدراء المقدسات واختيار حياة الرهبنة ... الخ[٩] . وكان جستنيان أول من اعترف بالعجز كسبب كاف للطلاق لأن عدم الأهلية يمنـــع اكتمــال الزواج[١٠] . ولا شك فى أن الكنيسة البيزنطية كان لها تأثير كبير فى تقييد تشريعات الطلاق سابقة الذكر ، اذ نجحت مثلا فى تحريم الطلاق بالاتفاق المشترك كما ورد فى تشريعات جستنيان[١١] . وعلى أية حال، بسبب طبيعة العلاقة الخــاصة بين الدولة والكنيسة فى بيزنطة ، ولأن الكنيسة جزء من الدولة وتخضع لتوجهاتها ، كانت القوانين التى تتناول السلوك العام والقوانين ذات الطــابع الدينى التى تصدرها الحكومة البيزنطية ملزمة للكنيســة[١٢] . ورغم أن الكنيسة البيزنطية التزمت بتشريعات الدولة التى أباحت الطلاق فى حالات معينة ، فان هذا الالتزام كان مناقضا لمبادئها ، وظل الارتباط الأبدى للزوجين هو الزواج المثالى فى نظرها[١٣] .

نظرت الكنيسة البيزنطية الى الحالات التى أباحت فيهــا القوانين المدنية الطلاق كحالات تطلبت التسامح والرحمة بسبب الضعف الانسانى على اعتبار أن الغرض من تلك القوانين هو تجنب شرور لاحقة . لقد اعتبرتها استثناءات لا تلغى القوانين الكنسية[١٤] . ويخطىء من يظن أن الكنيسة البيزنطية كانت تمنح الطلاق . فالطــلاق كان من شئون

القانون المدنى ولم يكن للكنيسة أى ارتباط مباشر به الا عندما تثـــار مسألة الزواج مرة أخرى[١٥] • وكان مناسبا أن تهتم الكنيسة بتكرار الزواج بشكل أكبر من اهتمامها بالطلاق ، لأنه عند تكرار الزواج تثار مسألة قدسية الزواج الأول وعدم انقطاعه •

ظل الزواج الأول فى نظر الكنيسة البيزنطية هو الرباط المقـــدس والعلاقة المثالية وكان كل زواج بعده مكروها بغض النظر عن الأسباب التى أدت الى انفصام عرى الزواج الأول • وجدير بالذكر أنه لايوجد فى الكتاب المقدس أى حكم للسيد المسيح ــ عليه السلام ــ بالنسبة للزواج للمرة الثانية ، ومن هنا جاء الاعتقاد بأنه لم يكن محـــرما[١٦] • ولكن القديس بولس أوضح المسألة عندما أجاز للأرامل فى حالات الضرورة الزواج مرة ثانية ، وأصبح حكمه القاعدة التى تستند عليها الكنيسة[١٧] • ورغم أن الكنيسة لم تحبذ أى زواج بعد الأول الا أنها نظـــرت الى الزواج الثانى نظرة تسامح وعفو وكبديل أفضل من ارتكاب الخطيئة •

ولما كان الزواج للمرة الثانية يعد تعبـــيرا عن الافتقار الى ضبط النفس ، فقد فرضت الكنيسة البيزنطية الحرمان على كل من يتزوج مرة ثانية[١٨] • •وكانت العقوبة تعنى حرمان من ينالها من طقوس الكنيسة وخاصة من القداس الدينى • وكان الحرمان فى هذه الحـــالة يستهدف تهذيب النفس والتكفير عن ذنب العجز عن كبح جماح الشهوات بقضاء بعض الوقت فى صلاة وصوم قبل العودة الى رحمة الكنيسة • واذا كان القديس باسيل St. Basil قد اعتبر الزواج الثانى عزاء عن ارتكاب الخطيئة ، فقد حدد فترة الحرمان بسنة واحدة • وأصبح حكمه بعـــد ذلك تقليدا متبعا فى الكنيسة البيزنطية[١٩] • وعلى خلاف الزواج الأول تمـــيز طقس الزواج الثانى بترديد عبـــارات التوبة وطلب العفـــو والرحمة[٢٠] •

وبطبيعة الحال كان موقف الكنيسة البيزنطية من الزواج الثالث

أكثر صرامة • وسواء كان الطلاق أو كانت الوفاة هى التى أنهت الزواج الثانى فقد نظرت الكنيسة الى الزواج الثالث باحتقار • فالقديس باسيل St. Basil اعتبره مشينا ومخالفا للقـــوانين الكنسية ولكنه لم يصـــدر حكما بتحريمه لأنه أفضل من ارتكاب الخطيئة ، وحدد فترة الحرمان لكل من يتزوج للمرة الثالثة بخمس سنوات(٢١) • وكان طقس الزواج الثالث فى البداية مبتورا لا يتمتع صاحبه بالتتويج أو المباركة المعتادة• ولكن بصدور القانون رقم (٨٩) للامبراطور ليو السادس والذى ينص على أن شرعية الزواج أصبحت تستلزم مباركة الكنيسة تغير الموقف • وأصبحت الكنيسة مطالبة بمبـــاركة الزواج الثانى والزواج الثـــالث لاكسابهما الشرعية • فاضطرت الى ابتكار طقس مستقل وقصـــير لهما تتم فيه المباركة والتتويج(٢٢) • وهكذا سمحت الكنيســـة البيزنطيـــة بالزواج الثانى بل وتسامحت فى الزواج الثالث فى اطار مفهومها للتسامح والرحمة • ويجب النظر الى هذا التســـامح على أنه الاستثناء وليس القاعدة • وكان كل زواج بعد الزواج الثالث محرما ولا يمكن لعقوبة الحرمان ، مهما كانت مدتها أن تجعل مثل هذا الزواج معترفا به •

يبدو أن الزواج الرابع لم يرد على الكنيسة فى البداية • فحتى بداية القرن العاشر الميلادى لم يوجد قانون كنسى واضح متفق عليه ينص على تحريمه(٢٣) • فلم تكن هناك حاجة لمثل هذا القانون لأن أحدا لم يقم حتى ذلك الوقت بارتكاب تلك المخالفة • وعلى عكس ذلك نجد أن القوانين المدنية التى أصدرتها الدولة قد أشارت الى الزواج الرابع ونصت على تحريمه • وكان جستنيان هو الامبراطور الوحيـــد الذى اعترف فى أحد قوانينه الأولى بالزواج الرابع(٢٤) • ولكن عندما تطرق الى مسألة تكرار مرات الزواج فى قوانينه التالية لم يذكر — ربما بتأثير من الكنيسة — سوى الزواج الثانى والثالث دون الاشارة الى الزواج الرابع(٢٥) • بالنسبة لمجمـــوعة الاكلوجا Ecloga التى أصـــدرها الامبراطور ليو الثالث الايسورى Leo III (٧١٧ — ٧٤١م) فى سنة

٧٣٦م ، فانها تتضمن نصوصا خاصـــة بالزواج الثانى فقط ، وأغفلت الاشارة الى الزواج الثـــالث[٣٦] . أما الامبراطورة ايرين Irene (٧٩٧ ــ ٨٠٢م) فقد أكدت هذا الاتجاه باقرار تشريعـــات الاكلوجا Ecloga واعتبار كل زواج بعد الزواج الثانى أمرا غير أخلاقى ، وأعلنت فى قانونها رقم (٢٨) الصادر حول سنة ٨٠٠م تحريم الزواج الثالث وكل زواج تال على أساس أنها أمور غريبة على المسيحية[٣٧] . وتتميز تشريعات مؤسس الأسرة المقدونية بأنها كانت متفقة مع موقف الكنيسة من الزواج وتسامحها المحدود فى حالة تكراره . فقد اعترف الامبراطور باسيل الأول فى تشريعاته بالزواج الثالث واعتبره قانونيا بشرط تنفيذ فترة الحرمان المقررة فى القـــانون الكنسى ، ولكنـــه رفض الاعتراف بالزواج الرابع وأنكر شرعية أطفـــاله[٣٨] . كذلك أيد الامبراطور ليو السادس هذا الاتجاه بقوة فى قانونه المعروف رقم (٩٠) . ففى بدايته يذكر ليو السادس كيف خلق الله الانسان وميزه على الحيوان بنعمـــة العقل ، ثم يمتدح عالم الحيوان ، لأن كثيرا من فصائل الحيـــوانات ترفض الارتباط بشريك ثان بعد وفاة الشريك الأول . ويمضى قائلا ان طبيعة البشر جعلت القانون يسمح بزواج ثان ويتسامح فى زواج ثالث ، الا أن معظم من أقدموا على زواج ثالث تجاهلوا فترة الحرمان المقررة . ونتيجة لذلك يقرر الامبراطور فى نهاية قانونه ، أن كل من يعقد زواجا ثالثا يجب أن يخضع لحكم قوانين الكنيسة . ويلاحظ أن ليو السادس تناول فى هذا القانون الزواج الثالث بازدراء ، أما الزواج الرابع فقد أنكره تماما[٣٩] .

يتضح مما سبق أن القوانين المدنية للدولة البيزنطيـــة كانت حتى بداية عهد الامبراطور ليو السادس تؤيد وتؤكد قوانين الكنيسة الخاصة بالزواج والتســـامح المحدود فى حالة تكراره . فعـــدد مرات الزواج المسموح بها بسبب الطلاق أو الوفاة محدد بثلاث ، أما الزواج الرابع

فكان محرما تماما • ومن المفارقات الغريبة أن الامبراطور ليو السادس نفسه كان أول من خالف قانونه سابق الذكر كما سيتضح بعد قليل •

والآن من الأفضل أن نتعرف على وجهة نظر كنيسة روما من مسألة تكرار الزواج لكى نتفهم بوضوح موقف البابوية من القضية موضوع هذه الدراسة • اختلف الغرب الأوروبى عن الشرق البيزنطى فى تصوره للغرض الأساسى من الزواج وديمومة ارتباط الزوجية • فالغـــرض الرئيسى من الزواج فى الغرب الأوربى هو تناسل الجنس البشرى(٣٠) • ومنذ البداية تأثرت الكنيسة الغربية بالقانون الرومانى فى نظرته للزواج كتعاقد • وأدرج القانون الكنسى فى الغرب الزواج ضمن العقود التى تتم بموافقة طرفيهـــا على الارتبـــاط(٣١) • وعلى هذا أصبح الزواج المسيحى فى الغرب الأوربى تعاقدا وطقسا مقدسا يكون فيه القس شاهدا على اتفاق طرفيه(٣٢) • والزواج كتعاقد يتطلب الانعقاد والتصـــديق ويتم هذا باكتماله المادى • وما أن يكتمل الزواج يصبح ارتباطا لا انفصام له الا فى حالة الوفاة • فوفاة أحد طرفيه تعنى انهيار الارتباط تماما ، ويصبح من حق الأرمل أو الأرملة الزواج مرة أخرى(٣٣) • وفى ضوء هذا المفهوم يصبح تكرار الزواج بسبب الوفاة بلا حدود • وهكذا يتضح اختلاف وجهتى نظر كنيستى القسطنطينية وروما بالنسبة لعدد مرات الزواج المسموح بها •

حواشى الفصل الأول

١ — Girard, **Droit Romain**, pp. 161.

٢ ـ انتقـل هذا التقليـد بعـد ذلك للزواج المسيحى ، وأصبح الأسقف عادة أحد الموقعين ، قارن :

Joyce, **Christian Marriage**, pp. 41-43.

٣ — Rivers, **Marriage**, p. 466; Fulton, **Laws of Marriage**, p. 233.

٤ — Picot, **Mariage Romain**, p. 119.

وللمزيد عن الزواج فى عصر الامبراطورية الرومانية ، انظر :

Corbett, **Roman Law of Marriage**, pp. 60-68.

٥ — Patrinacos, **Character of Marriage**, pp. 126-132; Meyendorff, **Paschal Mystery**, pp.. 11-14; Meyendorff, **Marriage**, pp. 18-24.

٦ ـ ويتضح هنا أن الكنيسة الغربية نظـرت الى الزواج على أنه علاقة تعاقدية تستمر باستمرار طرفيها على قيد الحياة ، انظر :

Meyendorff, **Marriage**, p. 42.

٧ ـ عن أهمية القوانين الكنسية فى هذا المجال ، انظر :

Milas, **Das Kirchenrecht**, pp. 11-12, 61-62.

٨ — **Codex Theodosianus**, III, 16, 1. (Pharr, pp. 76-77).

٩ — **Just.** Nov. 22, Caput 5,6,7,9, pp. 150-152; **Just.** Nov. 117, Caput 8-9, pp. 557-560.

وقارن أيضا :

Codex Justinianus, Code V. 17, 8, pp. 212-213; **Basilicorum**, XXVIII, 7, 1 (Ser. B.), Vol. 5, pp. 1867-1869.

١٠ — **Codex Justinianus**, Code V. 17, 10, p. 213.

١١ ـ رغم اباحة الطـلاق لأسباب متعددة ، فان جستنيان لم يذكر فى قائمة الأسباب الطلاق بالاتفاق المشترك ، انظر :

Just. Nov. 117, Caput 10, pp. 560-561.

ولكن الامبراطور جستين الثانى (٥٦٥ - ٥٧٨م) أباح فى قانونه رقم (٢) الطلاق بالاتفاق المشترك مرة أخرى ، انظر نص هذا القانون فى :

JGR (Zepos), I, pp. 4 - 5; **Nomocanon** Tit. 13, ch. 4, p. 298.

وانظر أيضا :

Buckler, **Women in Byz. Law**, pp. 401-402.

وأخيرا نجحت الكنيسة فى تحريم الطلاق بالاتفاق المشترك فى القرن التاسع الميلادى ، انظر :

Prochiron, Tit. XI, ch. 4, p. 146.

وقارن أيضا :

Basilicorum, XXVIII, 6, 7 (Ser. B.), vol. 5, p. 1872.

١٢ - كانت هذه القوانين المدنية التى تصدرها الحكومة البيزنطية تذكر الى جانب القوانين الكنسية فى مجموعات القوانين الكنسية المعروفة باسم **Nomocanons** . ومن أشهر مجموعات القانون الكنسى فى بيزنطة تلك المجموعة ذات الأربعة عشر فصلا **Nomocanon XIV Titulorum** والتى ظهرت فى الربع الأخير من القرن التاسع (حوالى ٨٨٣م) . ويظهر فى هذه المجموعة التمييز بين القوانين الكنسية التى تذكر أولا فى بداية كل فصل وبين القوانين المدنية التى تتلوها بشكل مختصر ، انظر هذه المجموعة فى :

Syntagma (RP), I, pp. 1-335.

وانظر أيضا :

Herman, **Secular Church**, p. 106;

Milas, **Das Kirchenrecht**, pp. 68, 248, 254.

١٣ - Zhishman, **Das Eherecht, I**, pp. 218-219.

١٤ - Zhishman, **Das Eherecht**, I, p. 219; Pospishil, **Divorce and Remarriage**, p. 13.

١٥ - استمر هذا الوضع حتى القرن العاشر الميلادى على الأقل ، انظر :

Every, **Byzantine Patriarchate**, p. 5, n. 4.

١٦ - Godefroy, Le Bras, Jugie, **Mariage**, Col. 2063.

١٧ ــ جاء فى رسالة بولس الرسول الأولى الى أهل كورنثا (٧ : ٨ ــ ١١) : «ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا . ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من التحرق . وأما المتزوجون فاوصيهم لا انا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها . وان فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته» .

كما جاء فى رسالة بولس الرسول الى أهل رومية (٧ : ٢ ــ ٣) : «فان المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى . ولكن ان مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل . فاذا ما دام الرجل حيا تدعى زانية ان صارت لرجل آخر . ولكن ان مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى أنها ليست زانية ان صارت لرجل آخر» .

وانظر أيضا :

Godefroy, Le Bras, Jugie, **Mariage, Col. 2098.**

١٨ ــ **Syntagma (RP)**, II, p. 63; III, pp. 171-172.

وانظر أيضا :

Zhishman, **Das Eherecht,** II, pp. 71-73.

١٩ ــ **Syntagma (RP)**, IV, pp. 102-107, 263.

وفى القرن التاسع الميلادى حدد نقفور بطريرك القسطنطينية مدة الحرمان بعامين كاملين ، انظر :

Syntagma (RP), IV, p. 427.

٢٠ ــ Goar, **Euchologion,** pp. 328-331..

وللمزيد عن موقف الكنيسة البيزنطية من الزواج الثانى وطقسه ، انظر :

Zhishman, **Das Eherecht**, II, pp. 76-77; Ritzer, **Le Mariage**, pp. 116, 140; Herman, **Digamon**, p. 467.

٢١ ــ **Syntagma (RP), IV**, pp. 102, 203-205.

٢٢ ــ Zhishman, **Das Eherecht**, II, pp. 76-77, 138-139; Buckler, **Women in Byz. Law**, p. 407; **Every**, **Byzantine Patriarchate**, p. 5.

وانظر أيضا :

Meyendorff, **Marriage**, p. 30; Ritzer, **Le Mariage**, pp. 164, 201-202.

٢٣ ــ ينسب الى نقفور بطريرك القسطنطينية (٨٠٦ ــ ٨١٥م) جملة أحــكام تنظيميــة (نشرها الكاردنيــال بيــترا Pitra في ــ **Iuris Ecclesiastici, II**, pp. 320-348) من بينهــا حــكم بأن الزواج الرابع غير شرعى وحدد لمن يعقده فترة حرمان من رحمة الكنيسة ، انظر :

Iuris Ecclesiastici, p. 340.

ولكن بعض المؤرخين يميــل الى الشك فى نسبة هذه الأحــكام للبطريرك نقفور ، انظر :

Jugie, **Notes**, pp. 419-420.

٢٤ ــ **Codex Justinianus**, Code V. 9, 6, pp. 201-202.

٢٥ ــ **Just. Nov.** 22, Caput 27-30, pp. 168-171.

٢٦ ــ **Ecloga, Tit. II, ch.** 10, pp. 24-25.

وانظر أيضا :

Zhishman, **Das Eherecht, II**, p. 116.

٢٧ ــ كما نص هذا القانون على أن كل من يولد من زواج ثالث يعتــبر طفلا غير شرعى . انظر نص هذا القانون رقم (٢٨) فى :

JGR (Zepos), I, p. 49-50.

٢٨ ــ **Prochiron**, Tit. IV, ch. 25, pp. 127-128.

٢٩ ــ كان الامبراطور ليــو الســادس من أباطرة بيزنطة القــلائل الذين تميزوا بسعة العلم فى اللاهوت وقوانين الكنيسة كما كان له اهتمام خاص بمســائل الزواج لدرجة أن عددا غير قليــل من قوانينه التى بلغت ١١٣ قانونا تناولت الزواج وشئونه بشــكل مباشر أو غير مبــاشر . انظــر نص القانون رقم (٩٠) لليو السادس فى :

Novellae Leonis, pp. 296-298.

٣٠ ــ Godefroy, Le Bras, Jugie, **Mariage**, Col. 2066;

Naz, **Mariage en Droit Occidental**, Cols. 751-752;

Joyce, **Christian Marriage**, p. 19.

وانظر أيضا :

كانتور : **التاريخ الوسيط قصة حضارة : البداية والنهاية** ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، (القاهرة ، ١٩٨١) جـ ١ ص ١٣٦ ـ ١٣٨ .

٣١ ـ Naz, **Mariage en Droit Occidental**, Col. 746; Joyce, **Christian Marriage**, p. 63.

٣٢ ـ Naz, **Mariage en Droit Occidental**, Col. 755; Villien, **Divorce**, Col. 1469.

٣٣ ـ انظر القانونين الكنسيين رقم (١١١٨) ، ورقم (١١٤٢) فى :

Bouscaren, Ellis, Korth, **Canon Law**, pp. 611, 647.

وانظر أيضا :

Villien, **Divorce**, **Col.** 1471; **Meyendorff**, **Marriage**, p. 42; Pospishil, **Divorce and Remarriage**, p. 24.

الفصل الثاني

الزيجات الأربع للامبراطور ليو السادس



بعـــد وفاة ابنه الأكبر قسطنطين سنة ٨٧٩م ، حرص الامبراطور باسيل الأول على اعداد ابنه الثـــانى ليو لخلافته ، وتزويجه لضمان استمرار حكم الأسرة المقدونية من بعده • ووقع الاختيار على فتاة تدعى ثيوفانو Theophano كانت تمت بصلة قرابة للامبراطورة الأم ايدوكيا انجرينا Eudocia Ingerina ، لتكون زوجة لليو[١] • ويبدو أن الاختيار لم يرض ليو ، الذى كان على علاقة بفتاة أخرى تدعى زوى Zoe ابنـــة ستيليانوس زاوتزس Stylianus Zautzes مستشار أبيه ، ولكنه اضطر الى الزواج خوفا من أبيه[٢] • وتم الزواج فى احتفال كبير فى شتاء ٨٨١/ ٨٨٢م على الأرجح[٣] • ويبدو أن علاقة ليو بزوى Zoe استمرت بعد زواجه وعلمت بها زوجته فأسرعت تخبر أباه • ويصف ليو بنفسه كيف كان رد فعل أبيه قاسيا ، فقد رفض أن يسمع دفاعه عن نفسه وانهال عليه بالضرب المبرح حتى سالت دماؤه• ولم يكتف باسيل الأول بذلك بل قام بتزويج زوى رغم ارادتها لأحد رجاله على أمل حسم هذه اشكلة نهائيا[٤] •

استقرت حياة ليو وزوجته ثيوفانو وانتظمت طوال السنوات المتبقية من عمر باسيل الأول • وأثمر هذا الزواج الأول لليو مولد طفلته الأولى ايدوكيا Eudocia حــول سنة ٨٨٢م[٥] • وكانت وفـــاة الامبراطور باسيل الأول سنة ٨٨٦م ايذانا بتحرر ليو ، الذى أطلق العنان لرغباته فور أن اعتلى العرش • فأصبحت زوى محط الاهتمام الأول للامبراطور بينما انزوت ثيوفانو فى جنبات القصر بلا نصير • ويروى صاحب سيرة ثيوفانو كيف أن الامبراطورة الفاضلة كرست حياتها لحب الله وخلاص الروح وعمل الخير[٦] • بينما يذكر صاحب سيرة ايثيميوس Euthymius أن حزن الامبراطورة الشابة تضاعف بوفاة طفلتها الوحيدة ايدوكيا فى

شتاء سـنة ٨٩٢م ، وأنهـا استدعت ايثيميوس Euthymius وأخبرته برغبتهـا فى منح الامبراطور ليو السادس الطلاق والالتحـاق بأحد الأديرة[٧] • وبالفعل التحقت الامبراطورة بدير العـذراء فى ضاحية بلاخرن Blachernae شمال العاصمة حيث عاشت فى عزلة حتى وفاتها فى نوفمبر سنة ٨٩٦م[٨] • وبعد وفاتها ببضع سنوات قررت الكنيسة البيزنطية اعتبارها قديسة لعفتها وتقواها وبسبب المعجـزات المنسوبة اليها[٩] •

وبوافاتها أصبح فى امكان الامبراطور أن يتزوج مرة ثانية • وكانت العقبةالوحيدة أمام زواجه من عشقيتهزوىزاوتزس Zoe Zautzes ،زوجها ثيـودور جوزنياتس Theodore Gouzouniatis الا أنه توفى بعد ثيوفانو بفترة قصيرة • ولقد أثار توقيت وفاته المفـاجىء فى أعقـاب وفاة الامبراطورة الشابة الكثير من الشكوك وتهامس الناس بأن زوى كانت مسئولة عن وفاتهما[١٠] • ويروى صاحب سيرة ايثيميوس Euthymius كيف استدعى الامبراطور الراهب ايثيميوس وأخبره بعزمه على الزواج من زوى ، الا أن الراهب التقى اعترض عـلى هذا المشروع بسبب الشرور المنسوبة لزوى ، ونصح الامبراطور باختيـار زوجة أخرى • ولكن الامبراطور أصر على موقفه وأمر بنفى ايثيميوس الى دير القديس ديومدس St. Diomedes حيث عاش هناك عامين ، أى طوال عهـد الامبراطورة زوى[١١] •

لا تشير المصادر بوضوح الى تاريخ الزواج الثانى للامبراطور ليو السادس من زوى زاوتزس ، ومن المحتمـل أن يكون هذا الزواج قد انعقد فى أوائل سنة ٨٩٨م[١٢] • وباعتـلائها العـرش بلغ والدها ستيليانوس زاوتزس Stylianus Zautzes قمة نفوذه فى الحكومة والقصر وأنعم عليه الامبراطور بلقب والد الامبراطور Basileopator [١٣] • ولكن هذا المجد لم يدم طويلا فقد توفى ستيليانوس فى صيف سـنة

٨٩٩م ، كما توفيت ابنته زوى بعده بستة أشهر فى شتاء سنة ٨٩٩/ ٩٠٠م اثر مرض عضال وكان حزن الامبراطور عليها كبيرا[١٤] • ويبدو أن ليو السادس كان قد أنجب ، قبل زواجه رسميا من زوى ، طفلته الثانية آنا Anna • وبعـــد وفاة زوى تم تتويج الأميرة امبراطورة Augusta لتشغل ، بشكل مؤقت ، مقعد الامبراطورة الى جانب ليـــو السادس حسب قواعد البروتكول المتبعة فى مآدب واحتفـــالات القصر الامبراطورى ، ولحين زواج الامبراطور للمرة الثالثة • ولما كانت آنا Anna مخطوبة للملك الكارولنجى لويس الثالث Lewis III ملك بروفانس Provence ، فقد سافرت الى الغرب لتتزوجه فى سنة ٩٠١م ، ولكنها توفيت بعد ذلك حوالى سنة ٩٠٣م[١٥] •

لم يمض وقت طويل قبل أن يتورط ليو السادس فى زواج جديد ، كى ينجب ولدا ويحـــافظ على استمرار حـــكم الأسرة المقدونية • ان معلوماتنا عن الزواج الثالث قليلة للغاية ، فالحوليات البيزنطية تروى أن الامبراطور تزوج للمرة الثالثة من فتاة جميلة تدعى ايدوكيـــا بايانا Eudocia Baiana من ثيم الاوبسيق Opsikion فى آسيا الصغرى بعد عيد الفصح سنة ٩٠٠م[١٦] • وأوضح البطريرك نيقولا مستيكوس فى رسالته الى البابا اناستاسيوس الثالث Anastasius III ، بعد ذلك بسنوات ، أن قوانين الكنيسة البيزنطية لا تحرم الزواج الثالث بشكل قاطع بل تتسامح فيه لظروف • وبرر تسامح الكنيسة ، فى حالة ليـــو السادس ، على أساس حاجة المراسم وقواعد البروتوكول الرسمية المتبعة فى مآدب واحتفالات القصر الى امبراطورة ، بعد أن تقرر سفر الأميرة آنا Anna الى الغرب الأوربى لتتزوج من ملك بروفانس[١٧] • وبهـــذا الزواج استنفد الامبراطور عدد مرات الزواج التى تتسامح فيها الكنيسة والدولة وعلى رأسها القانون رقم (٩٠) الذى أصدره بنفسه ونص على ضرورة الالتزام بفترة الحرمان المنصوص عليها فى القانون الكنسى[١٨] •

وجدير بالذكر أن الامبراطور ليو السادس لم يكن أول امبراطور يتورط فى أكثر من زواج فى الدولة البيزنطيـــة ، فقد سبق للامبراطور هرقل Heraclios (٦١٠ — ٦٤١م) أن تزوج مرتين ، وكذلك فعـــل الامبراطور قسطنطين السادس Constantine VI (٧٨٠ — ٧٩٧م) وأثار انقساما فى الكنيسة البيزنطية[١٩] • كمـــا سبق للامبراطور قسطنطين الخامس Constantine V (٧٤١ — ٧٧٥م) أن عقد زواجا ثالثا سنة ٧٦٩م بزواجه من ايدوكيا مليسينا Eudocia Melissina [٢٠] • وبالاضافة الى ذلك أرسى هذا الامبراطور سابقة هامة عندما جعل الكنيسة تبارك زواجه رسميا[٢١] • ولا تبين المصادر ما اذا كان ليو السادس قد أحيا هـــذه السابقة أم لا •

ولازم سوء الحظ الامبراطور ليو السادس فلم يعمر زواجه الثالث طويلا بل كان أقصر عمرا من زواجه الثانى اذ توفيت الزوجة الثالثة بعد عام واحد أثناء ولادة طفلها الوحيد يوم عيد الفصح الموافق١٢من ابريل سنة ٩٠١م ، واكتملت أحزان الامبراطور بوفاة الطفل الوليد أيضا[٢٢] • وبوفاتهما تعقد الموقف ، وبدأ الامبراطور ينشغل من جديد بمستقبل الأسرة المقدونية التى توقف استمرار حكمها عليه وحده لأن أخاه اسكندر Alexander لم ينجب أطفالا ، وأصبحت مسألة انجاب ولى العهد شغله الشاغل • وكان من الطبيعى أن يسرع ليو السادس باقامة علاقة جديدة • ووقعت عينـــاه هذه المرة على فتاة جميلة تدعى زوى أيضـــا وتلقب كاربونوبسينا Carbonopsina كانت تنتمى الى الطبقة العليا فى مجتمع القسطنطينية وتميزت بالطموح والدهاء[٢٣] • كذلك كانت زوى الثانية تمت بصلة قرابة لعدة شخصيات مرموقة ومعروفة فى التاريخ البيزنطى ، مثل المؤرخ ثيوفانس Theophanes [٢٤] والأدميرال هيمريوس Himerios قائد الأسطول البيزنطى[٢٥] ، وليو خويروسفاكتس Leo Choirosphactes الدبلوماسى القدير فى ذلك الوقت[٢٦] •

ويلاحظ أن أول اشارة وردت فى المصادر لزوى الثانيـــة ، كان فى

معرض تناولها محاولة الاغتيال التى تعرض لها الامبراطور ليو السادس فى ١١من مايو سنة ٩٠٣م فى كنيسة القديس موكيوس St. Mocios (٢٧)؛ وعلى هذا يمكن ارجاع بداية علاقة الامبراطور بها قبل مايو سنة ٩٠٣م، ومن المحتمل أن تكون قد بدأت فى سنة ٩٠٢م • وفى صيف سنة ٩٠٤م، كانت زوى الثانية مقيمة بالفعل فى القصر الامبراطورى بشــكل دائم كمحظية للامبراطور (٢٨) • وكان ليو السادس بهذا يخالف قانونه رقم (٩١) الذى حرم فيه اتخاذ محظيات لما فى ذلك من مخالفة للعقيـــدة وطبيعة العلاقات بين البشر (٢٩) •

وتحقق أخيرا حلم ليو السادس عندما وضعت زوى الثانية فى الفترة ما بين مايو ـــ وسبتمبر سنة ٩٠٥م فى الغرفة الأرجوانية بالقصر طفلا ذكرا ، أصبح بد ذلك الامبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Constantine VII Porphyrogenitos •(٣٠) ولـــكن اذا كان الحـــلم قد تحقق فان بوادر أزمة عنيفة أخذت تتبلور • لقد أراد الامبراطور منح طفله وولى عهده الشرعية الضرورية ، الا أن سعيه فى هذا السبيل أدى الى احتدام الخلاف بينه وبين بطريرك القسطنطينية فضـــلا عن عودة الانقسام الى الكنيسة البيزنطية مرة أخرى •

لا شك أن تعميد الأمير الصغير كان يمثل خطوة رئيسية فى سبيل اضفاء الشرعية عليه • فطقس العماد يعنى الميلاد المسيحى للطفل كما يرمز الي الانتساب الى عضوية الكنيسة ، وفيه يكتسب الطفــــل اسمه الأول • ويبدو أن البطريرك نيقولا مستيكوس كان راغبا فى تعميــــد الطفل ، ربما لأنه كرجل دين لم يكن فى وسعه أن يحرم طفلا من طقس العماد بسبب خطيئة أبويه • ولكن العناصر المتشددة من رجال الكنيسة اعترضت على تعميده على أساس أنه تنازل يتضمن الموافقة على العلاقة المحرمة بين ليو السادس وزوى الثانية • وكان التيار المتشدد فى الكنيسة البيزنطية يضم فى معظمه تلك العنـــاصر التى كانت مؤيدة لاتجـــاهات

البطريرك السابق اجناتيوس Ignatios قبل عودة السلام الى الكنيسة البيزنطية ، كما انضم اليه بعض أنصار البطريرك السابق فوتيوس Photios • وكان من أقطاب هذا التيار المعارض أرثاس Arethas رئيس أساقفة قيصرية Caesarea [٣١] •

حرص البطريرك نيقولا مستيكوس فى البداية على تجنب انقسام جديد فى الكنيسة البيزنطية أو صدام لاداعى له مع القصر وأخذ يسعى من أجل التوصل الى حل وسط • فتم تكليف أرثاس Arethas فى أواخر سنة ٩٠٥ م بالسفر الى اليونان لتفقد شئون كنائسها والنظر فى مشاكلها ، وهى مهمة امتدت لعدة شهور فى سنة ٩٠٦م[٣٢] • وأثناء غيابه وافق معظم رجال الدين على تعميد الأمير الصغير شريطة أن يتعهد الامبراطور بصرف النظر تماما عن التفكير فى الزواج للمرة الرابعة ، وأن ينفصل عن زوى الثانية[٣٣] • وفى البداية قبل الامبراطور هذه التسوية وتعهد الالتزام بها • وبرحيل زوى ، أقيمت مراسم طقس العماد فى احتفال ضخم فى كنيسة الحكمة المقدسة St. Sophia فى ٦ من يناير سنة ٩٠٦م ، وقام البطريرك نيقولا مستيكوس بتعميد الأمير الصغير بنفسه وأطلق عليه اسم قسطنطين • ووقفت ثلاث شخصيات معروفة لتؤدى دور الأب الروحى للطفل قسطنطين • حسب التقاليد المتبعة : الامبراطور المشارك اسكندر عم قسطنطين ، والراهب ايثيميوس Euthymius أب الاعتراف للامبراطور ليو السادس ، وساموناس Samonas أحد كبار موظفى القصر وأوسعهم نفوذا فى ذلك الوقت[٣٤] •

لم يلتزم ليو السادس بالتسوية وحنث بوعده ، ففى ٩ من يناير سنة ٩٠٦م — أى بعد مرور ثلاثة أيام على تعميد قسطنطين — أمر الامبراطور بعودة زوى الى القصر لتقيم معه[٣٥] • وكان ليو السادس يعلم بالطبع أن الزواج من زوى فيه تأكيد لشرعية ابنه وولى عهده وضمان لمستقبله ، ولكن السبل المتاحة أمامه كانت محدودة • فالقانون

رقم (٨٩) الذى أصدره بنفسه كان ينص على أن شرعية الزواج أصبحت تستلزم مباركة الكنيسة[٣٦] • لقد صدر هذا القانون مثل بقية قوانينه المتعلقة بمسائل الزواج فى السنوات التى سبقت زواجه الثانى سنة ٨٩٨م • وبصدوره اكتسبت الكنيسة مسئولية كبرى فى تأكيد شرعية الزواج • على أية حال ، اتخذ ليو السادس الخطوة الجريئة فى النهاية ، واستطاع أن يجد قسا مغمورا يدعى توماس Thomas وافق على عقد زواج رابع للامبراطور على زوى كاربونوبسينا Zoe Carbonopsina ثم قام ليو بنفسه بتتويجها امبراطورة[٣٧] • وبزواجه للمرة الرابعة ــ وهو ما لم يحدث من قبل ــ يكون ليو السادس قد تحدى الكنيسة وخالف العرف والقانون وحاول أن يمنح الشرعية لعلاقة غير شرعية من أجل تأكيد شرعية ابن غير شرعى • واضطر البطريرك نيقولا مستيكوس أن يصدر ضده قرار الحرمان من رحمة الكنيسة[٣٨] •

حواشى الفصل الثانى

١ ـ كانت ثيوفانو وايدوكيا انجرينا تنتميان لأسرة مارتيناكيوس Martinakioi المرموقة فى العاصمة البيزطية • وكانت ثيوفانو ابنة قسطنطين ابن انجر مارتيناكيوس Inger Martinakios وكانت ايدوكيا شقيقة قسطنطين وعمة ثيوفانو ، للمزيد عن هذه الأسرة ، انظر :

Vita Sanctae Theophano, pp. 2-6; Da Costa-Louillet, **Saints**, pp. 825-826.

٢ ـ **Vita Euthymii**, p. 41.

٣ ـ يذكر صاحب سيرة ثيوفانو انها تزوجت وعمرها خمسة عشر عاما وتوفيت وهى فى الثلاثين من عمرها ، انظر :

Vita Sanctae Theophano, pp. 33, 42.

فاذا كانت وفاتها فى نوفمبر سنة ٨٩٦م ، فمعنى ذلك أنها تزوجت فى شتاء ٨٨٢/٨٨١م • وكان عمر ليو فى ذلك الوقت حوالى ستة عشر عاما • انظر أيضا :

Da Costa-Louillet, **Saints**, pp. 829-830.

٤ ـ **Vita Euthymii**, p. 41.

٥ ـ **Vita Sanctae Theophano**, pp.. 12, 36.

٦ ـ **Vita Sanctae Theophano**, pp. 14-15, 39-42; Da Costa-Louillet, **Saints**, p. 832.

٧ ـ **Vita Euthymii**, p. 37; Guilland, **Les Noces**, p. 12; Diehl, **Byzantine Portraits**, p. 180.

٨ ـ اختلف المؤرخون حول سنة وفاة الامبراطورة ثيوفانو • وكان الاعتقاد فى البداية أنها توفيت فى سنة ٨٩٣م ، انظر :

Diehl, **Byzantine Portraits**, p. 182; Guilland, **Les Noces**, p. 12.

ثم اقترح الأستاذ جرومل سنة ٨٩٧م ، انظر :

Grumel, **Régne de Léon VI**, pp. 26-27.

أما الأستاذة باتريشيا كارلين هيتر فقد قامت بدراسة أخيرة توصلت فيها الى أن الوفاة حدثت فى سنة ٨٩٦م على أكثر تقدير وربما فى سنة ٨٩٥م ، انظر :

Karlin-Hayter, **Mort de Theophano**, pp. 13-19.

وبمقارنة ما ورد فى المصـادر ، وخاصة ما ورد فى سـيرة ايثيميوس (الذى حدد يوم العاشر من نوفمبر) وما سجله صاحب سيرة ثيوفانو ، يتضح أن ثيوفانو قد توفيت فى العاشر من نوفمبر سنة ٨٩٦م على أكثر تقدير انظر :

Vita Sanctae Theophano, pp. 16, 33, 42, **Vita Euthymii** pp. 45. 167.

عـلى أية حال ، تم دفن الامبراطورة بكل اجلال بجوار كنيسـة الرسـل المقدسين فى العاصمة ، ثم قام الامبراطور ليو السادس بتشييد كنيسة حملت اسمها تخليدا لذكراها ، انظر :

G. Mon. Cont., p. 860; **Theoph. Cont.** p. 364.

٩ ـ **G. Mon. Cont.**, p. 860; **Vita Sanctae Theophano**, pp. 16-18, 47-48.

وللمزيد عن الاحتفال المرتبط بذكراها ، انظر :

De Caerim., II. 6, p. 533.

١٠ ـ **Vita Euthymii**, pp. 45, 47, 174.

ويلاحظ أن الحوليـات البيزنطية تشـير الى وفاة ثيودور مسموما قبل الاشارة الى وفاة ثيوفانو ، انظر :

G. Mon. Cont., p. 852; **Theoph. Cont.**, p. 357.

وانظر أيضا : أسد رستم : **الروم** ، حـ ٢ ص ١٥ .

١١ ـ **Vita Euthymii**, pp. 47-49.

ويقع دير القديس ديومدس St. Diomedes فى الجزء الجنوبى الغربى من القسطنطينية خلف دير ستوديو Studios ، انظر :

Janin, **Constantinople**, pp. 168-169.

١٢ ـ تم تحديد هذا التاريخ فى ضوء الحقائق التالية :

(أ) امتد زواج زوى زاوتزس من ليو السادس مدة سنة وثمانية أشهر .

(ب) كانت زوى زاوتزس على قيد الحياة عندما كتب فيلوثيوس Philotheos قائمته المعروفة Kletorologion فى سبتمبر سنة ٨٩٩م .

(جـ) انعقد الزواج الثالث لليو السادس بعد عيد الفصح سنة ٩٠٠م ، ويجب أن نفترض مرور فترة حداد بين وفاة زوجته الثانية وزواجه للمرة الثالثة . انظر :

Theoph. Cont., p. 361; **Zonaras, III, p. 444.**

وللمزيد عن تاريخ كتابة قائمة Kletorologion ، انظر :

Bury, **Admin. System, p. 11.**

ويرى جرومل أن زوى زاوتزس توجت امبراطورة فى نهاية يناير أو بداية فبراير سنة ٨٩٨م ، انظر :

Grumel, **Régne de Léon VI, p. 21.**

١٣ ـ كان ستيليانوس زاوتزس مقدونيا من أصل أرمينى ، عمل مستشارا فى خدمة الامبراطور باسيل الأول ، وتمتع بنفوذ كبير فى أواخر أيامه ، بل كانت مقاليد الحكومة فى يديه عند وفاة الامبراطور ، انظر :

Vita Euthymii, p. 5.

وبعد اعتلاء ليو السادس العرش أصبح ستيليانوس الوزير الأول وحمل القاب ماجيستر Magistros والماجيستر الأول Protomagistros واللغثيث المسئول عن الشئون العامة Logothete tou dromou وأشار له الامبراطور فى اثنين من قوانينه (الأول ، والثامن عشر) بالماجيستر المسئول عن الدواوين المقدسة Magistros ton theion toffikion ، انظر :

Theoph. Cont., p. 354; **Vita Euthymii**, p. 7; **Novellae Leonis**, p. 11 (Nov. 1); p. 69 (Nov. 18); Bury, **Admin. System**, pp. 29-31.

وبعد زواج ليو السادس من زوى زاوتزس انعم عليه بلقب «والد الامبراطور» Basileopator (ويسميه بيورى لقب «والد الامبراطورة») . وكان فيلوثيوس Philotheos أول من ذكر هذا اللقب فى قائمته Kletorologion التى نشرها بيورى .

وطبقا لما ورد فى الحوليات البيزنطية كان هذا اللقب من ابتكار الامبراطور ليو السادس لتكريم والد زوجته الثانية ، انظر :

Theoph. Cont., p. 357; **Sym. Mag.**, p. 701; **G. Mon. Cont.**, p. 852;

Bury, **Admin. System**, pp. 114 115, 136.

ولقد لاحظ الأستاذ جرومل أن رومانوس ليكابينوس **Romanos Lecapenos** اتخذ أيضا هذا اللقب فى سبتمبر سنة ٩١٩م عندما أصبح والدا لزوجة الامبراطور قسطنطين السابع ، ويقرر أنه لهذا السبب ربطت الحوليات البيزنطية بين هذا اللقب وحقيقة أن من نالوه كانوا آباء لزوجات الأباطرة . أما الأستاذة كارلين هيتر فتعتقد أنه لم يكن مجرد لقب شرفى بل كان منصبا سياسيا بمعنى الوصى والمرشد لامبراطور صغير السن ، وتضيف بأن اللقب لم يكن قاصرا على آباء زوجات الأباطرة ، انظر :

Grumel, **Régne de Léon VI**, pp. 36-40; Karlin-Hayter, **Basileopator**, pp. 278-280;

وانظر أيضا :

Oikonomidès, **Préséance**, p. 307.

١٤ — **Vita Euthymii**, p. 49; Grumel, **Régne de Léon VI**, p. 21.

١٥ — **Theoph. Cont.** p. 364; **G. Mon. Cont.**, p. 860; **Sym. Mag.** p. 703.

ولقد أشار البطريرك نيقولا مستيكوس الى الاميرة انا **Anna** وزواجها من ملك بروفانس فى رسالته رقم (٣٢) الى البابا اناستاسيوس الثالث ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32. pp. 218- 220.

على أية حال ، يبدو أن الأميرة البيزنطية قد توفيت بعد ان انجبت فى الغرب طفلها الوحيد الذى حمل اسم شارل ـ قسطنطين **Charles-Constantine** (حوالى سنة ٩٠٣م) . أما لويس الثالث فكان ملكا على بروفانس منذ سنة ٨٩٠م ثم أصبح ملكا على ايطاليا سنة ٩٠٠م ، ونال تاج الامبراطورية الغربية سنة ٩٠١م ، ولكنه فقد بصره سنة ٩٠٥م وتوفى سنة ٩٢٨م . أما شارل ـ قسطنطين فقد

أصبح بعد ذلك كونت فيينا Vienne وتوفى سنة ٩٦٥م . للمزيد عن انا Anna ابنة زوى زاوتزس ، انظر :

Ohnsorge, **Töchter Kaiser Leons VI**, pp. 78-81,

وللمزيد عن شارل قسطنطين ، انظر :

Ohnsorge, **Abendland und Byzanz**, pp. 35, 228-234;

Previté-Orton, **Charles-Constantine**, pp. 703-706.

١٦ ـ **Theoph. Cont.**, p. 364; **Sym. Mag.**, pp. 703-704; **G. Mon. Cont.**, p. 860; Grumel, **Régne de Léon VI**, pp. 18-19.

١٧ ـ **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, pp. 218-220.

وانظر أيضا تعليق الأستاذة كارلين هيتر على نص سيرة ايثيميوس فى :

Vita Euthymii, p. 181.

١٨ ـ **Novellae Leonis**, pp. 296-298.

١٩ ـ بعد وفاة زوجته الأولى سنة ٦١٢م تزوج هرقل للمرة الثانيــة من ابنة أخيه مارتينا Martina منتهكا بذلك الأعراف والقوانين، انظر:

Speck, **Das Geteilte Dossier**, p. 31; Ostrogorsky, **State**, p. 112.

أما قسطنطين السادس فبعد أن انفرد بالحكم وتخلص من وصـاية أمه سنة ٧٩٠م ، قام بطلاق زوجته ماريا Maria وتزوج للمــرة الثانية من محظية فى القصر تدعى ثيودوت Theodote . واعتبرت العناصر المتشددة من رجال الكنيسة والرهبان طلاق الامبراطور من ماريا (دون سبب) باطل ، وبالتــالى فان زواجه الثـــانى غير شرعى ، انظر :

Ostrogorsky, **State**, pp. 180 - 181

٢٠ ـ وتم تتويجها امبراطورة فى أول ابريل سنة ٧٦٩م ، انظر :

Theophanes, I, p. 443; Guilland, **Les Noces**, p. 13.

٢١ ـ **Theodori Studitarum Epistolae**, Col. 1092 A.

وقارن أيضا :

Guilland, **Les Noces**, p. 13.

وترجح الأستاذة كارلين هيتر حضور البطريرك انطون كاوليياس حفل الزواج الثالث للامبراطور ليو السادس ، انظر تعليقها فى :

Vita Euthymii, p. 183.

٢٢ ـ **Theoph. Cont.**, p. 364; **Sym. Mag.**, p. 704; **G. Mon. Cont.**, p. 860; **Vita Euthymii**, p. 63.

وذكر قسطنطين السابع بعد ذلك أن اباه أطلق على هذا الطفل اسم باسيل الا أنه توفى بعد فترة قصيرة من مولده ، انظر :

De Caerim., II. 42, p. 643.

٢٣ ـ حملت زوى الثانيــة لقب كاربونوبســينا Carbonopsina بمعنى «ذات العيون السود» بسبب لون عينيها الداكن ، انظر :

Diehl, **Byzantine Portraits**, p. 187; Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 42.

وانظر أيضا :

الباز العرينى : **الدولة البيزنطية ٣٢٣ ـ ١٠٨١م** ، (دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٥) ص ٣٧٣ ، أسد رستم : **الروم** ، جـ ٢ ص ١٥ .

٢٤ ـ **DAI**, I. 22, p.98; II, p. 80; Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 42.

٢٥ ـ **Vita Euthymii**, p. 109.

٢٦ ـ اشار الطبرى الى أن المبعوث البيزنطى الذى حضر الى بغدادفىعام ٢٩٤هـ/٩٠٦ ـ ٩٠٧م كان خالا لقسطنطين السابع ابن الامبراطور ليو السادس . هذا المبعوث البيزنطى هو ليو خويروسفاكتس انظر: الطبرى (أبو جعفر محمــد بن جرير) : **تاريخ الرســل والملوك** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ٣ ، (مصر دار المعارف ، د.ت) ، جـ ١٠ ص ١٣٥ .

ولقد اشار هذا المبعوث بنفسه فى احدى رسائله الخاصــة ، التى نشرها كوليلس ، الى صلة القرابة التى تربطه بأسرة الامبراطور ليو السادس ، انظر ما جاء فى رسالته رقم (٢٢) فى :

Kolias, **Léon Choerosphactés**, pp. 114, 115.

وللمزيد عن هذا الدبلوماسى ومهمته فى بغداد ، انظر :

Vasiliev, **Byzance et les Arabes,** 11/1, p. 192; II/2, p. 21; Jenkins, **Leo Choerosphactes,** pp. 167-175.

٢٧ ــ تروى المصادر البيزنطية فى معرض وصفها لمحاولة اغتيال الامبراطور ليو السادس ، أن ساموناس Samonas ، أحد كبار موظفى القصر المقربين من الامبراطور ، لم يكن موجودا مع الامبراطور وقت محاولة اغتياله لأنه كان يقوم بتوصيل زوى كاربونوبسينا الى القصر الامبراطورى ، انظر :

G. Mon. Cont., p. 861. Cf. **Theoph. Cont** p. 366.

٢٨ ــ **G. Mon. Cont.,** p. 862; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas,** p. 336.

٢٩ ــ انظر نص القانون رقم (٩١) فى :

Novellae Leonis, pp. 298-301.

٣٠ ــ **Theoph. Cont.,** p. 370; **Sym. Mag.,** p. 708; **G. Mon. Cont.,** p. 865.

ولايزال التحديد الدقيق لتاريخ ميلاد قسطنطين السابع غير معروف ، انظر :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas,** p. 336; Constantinides, **Nikolaos ho Mystikos,** p. 44; Salaville, **Léon VI le Sage,** Cols. 369-370.

ويلاحظ أن كلمة بورفيروجنيتوس Porphyrogenitos (بمعنى المولود فى الأرجوان قد لازمت اسمه لتأكيد شرعية انتسابه للامبراطور ليو السادس .

٣١ ــ Grumel, **Les Regestes,** nos. 602-603, pp. 136-137; Diehl, **Byzantine Portraits,** p. 191.

٣٢ ــ انظر الرسالة رقم (٧) التى كتبها ارثاس الى الامبراطور ليو السادس وتعليق جنكنز عليها فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas,** pp. 332, 335-336.

٣٣ ـ **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, p. 218; Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 222.

أشار صاحب سيرة ايثيميوس الى بعض الأساقفة الذين أصروا على الاعتراض على تعميد الطفل مثل الأسقف ابيفانيوس **Epiphanios** انظر :

Vita Euthymii, p. 71.

وقارن أيضا : أسد رستم : **الروم** ، جـ ٢ ، ص ١٦ ، جوزيف نسيم يوسف : **تاريخ الدولة البيزنطية** ٢٨٤ ـ ١٤٥٣م (مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٤) ، ص ١٥٠ .

٣٤ ـ **Theoph. Cont.**, p. 370; **G. Mon. Cont.**, p. 865; **Leo Gramm.**, p. 279; **Zonaras**, III, p. 446.

ويلاحظ أن صاحب سيرة ايثيميوس لا يشير الى اسكندر عم الطفل . ومن الثابت حضور ايثيميوس تعميد الطفل فقد كان عليه أن يؤدى دور الأب الروحى ولكن بسبب ضعفه وتقدمه فى السن قام ساموناس بحمل الطفل بين يديه بدلا منه ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 71, 113

وقارن أيضا : محمود سعيد عمران : **نيقولا مستيقوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الاسلامية من خلال مراسلاته** ، (دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٠) ،ص ١٠ . وجدير بالذكر أن ساموناس كان خصيا من أصل عربى ، جاء من مدينة ملطية وعمل فى خدمة أسرة زاوتزس **Zautzes** . وبعد وفاة ستيليانوس وابنته الامبراطورة زوى زاوتزس ببضعة أشهر ، كشف ساموناس للامبراطور ليو السادس عن مؤامرة باسيل ابيكتس **Basil Epeiktes** (أحد أقارب الامبراطورة الراحلة زوى زاوتزس) ، فاعجب به الامبراطور وقام بتعيينه حاجبا **Cubicularius** فى القصر الامبراطورى ، ثم أنعم عليه بلقب بروتوسباثاريوس **Protospatharius** (أواخر سنة ٩٠٤م) . وفى سنة ٩٠٧م شغل ساموناس منصب براكويمومنوس **Parakoimomenos** (الحاجب الأول المسئول عن غرفة نوم الامبراطور) وازداد نفوذه فى القصر

لدرجة أن المصــادر تشــير الى أنه كان يحتل المركز الثــانى بعــد الامبراطور ٠ وطوال السنوات الثمان التى عمــل فيهــا فى خدمة الامبراطور (٩٠٠ – ٩٠٨م) تولى ســاموناس جهاز الأمن السرى واستطاع اكتشاف مؤامرة اندرونيكوس دوقاس ٠ على أية حال ، فى سنة ٩٠٨م غضب الامبراطور على تابعه المخلص اثر وشاية وقام بنفيه الى أحد الأديرة ، انظر :

G. Mon. Cont., pp. 857-859, 869-870; **Vita Euthymii**, pp. 49, 51, 176-177; Janin, **Samonas**, pp. 307-318; Jenkins, **Flight of Samonas**, pp. 217-235.

٣٥ – **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, pp. 218; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 337.

٣٦ – انظر نص هذا القانون فى :

Novellae Leonis, pp. 295-296.

٣٧ – **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32,, p. 218, 222; **G. Mon. Cont.**, p. 865; **Sym. Mag.**, p. 709; **Theoph. Cont.**, p. 370; **Leo Gramm.**, p. 279; Kolias, **Léon Choerosphactés**, p. 50.

وانظر أيضا : أسد رستم : **الروم** ، جـ ٢ ، ص ١٦ ، محمود سعيد عمــان : **نيقــولا مستيقوس** ، ص ١١ ، البــاز العــرينى : **الدولة البيزنطية** ، ص ٣٧٣ – ٣٧٤ ٠

ويلاحظ أن المصــادر لا تذكر على وجه التحديد تاريخ انعقاد هذا الزواج الرابع ، ويمكن ترجيح انعقــاده بين النصف الثــانى من ابريل وشهر يونيو سنة ٩٠٦م ، فى ضوء ما يلى :

(أ) تذكر الحوليات البيزنطية أن الزواج انعقد بعد عيد الفصــح (= ١٣ من ابريل) سنة ٩٠٦م ٠

(ب) ذكر البطريرك نيقولا مستيكوس أن مبعوثى البابا وصلوا الى القسطنطينية فى الشهر الثامن أو التاسع بعد انعقاد الزواج ٠ والمعروف ٠ أن وصولهم كان فى فبراير سنة ٩٠٧م ٠

ويرجع الأستاذ جنكنز انعقاده يوم الأحد التالى لعيد الفصح .
وحول اختلاف المؤرخين فى تحديد تاريخ هذا الزواج ، انظر :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 337; Constantinides, **Nikolaos ho Mystikos**, p. 47; Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 60-62.

٣٨ — **G. Mon. Cont.**, p. 865; **Sym. Mag.**, p. 709; **Leo Gramm.**, p. 279.

وتعتقد الأستاذة كارلين هيتر أن قرار الحـرمان صدر عقب اجتماع المجمع الدينى ، لبطريركية القسطنطينية وبالاجماع انظر :

Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 66, 74.

ولقد ترتب على ذلك حرمان الامبراطور من دخول الجزء الرئيسى من الكنيسة (بما فى ذلك المذبح) للاشتراك فى القداس الدينى كما جرت العادة . واضطر ليو السادس الى متابعة القراءة فى الكتاب المقدس من غرفة صغيرة ملحقة بالجانب الأيمن من مذبح كنيسة الحكمة المقدسة تسمى mitatorion . وكان الأباطرة يستخدمونها عادة للاستراحة وتغيير الملابس . وللمزيد عن هذه الغرفة ، انظر :

Theoph. Cont., p. 370; **De Caerim.** I, pp. 16, 17, 65, 145, 167; Goar, **Euchologion**, pp. 499-500; Ebersolt, **Sainte-Sophie**, pp. 17, 19.

الفصل الثالث

الأزمة داخل الكنيسة البيزنطية

وحقيقة موقف نيقولا مستيكوس

اذا تابعنا الأحداث كما رواها البطريرك نيقولا مستيكوس فقط ، فان قضية الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس ستبدو بسيطة وواضحة : لقد عارض البطريرك الزواج الرابع للامبراطور من البداية وبشكل متصل ، وفى النهاية تم نفيه وعزله من منصبه[1] • كان هذا التصور سائدا قبل نشر سيرة ايثيميوس Vita Euthymii وكتابات ارثاس Arethas ، فهذان المصدران يقدمان صورة مختلفة لموقف نيقولا من القضية ودوره فيها ومن الأفضل أن نتوقف عندهما قليلا •

بالنسبة لارثاس Arethas ، رئيس أساقفة قيصرية وأحد أعداء نيقولا مستيكوس ، فمعلوماتنا عنه قليلة ومصدرها ما كتبه بنفسه من خطب ورسائل فضلا عما ورد فى سيرة ايثميوس • وتعتبر كتاباته رواية معاصر وشاهد عيان للقضية موضوع هذه الدراسة[2] • واذا صدقنا الاتهامات التى وجهها ارثاس فى رسائله ضد نيقولا مستيكوس ، فان الأخير كان مترددا بل ومتناقضا فى موقفه من الزواج الرابع للامبراطور • ولكن يجب أن نتذكر أن أرثاس تميز بسوء الظن وبقلب يضمر الحقد والبغضاء • لقد كان من نفس عمر نيقولا تقريبا وتتلمذ مثله على يد البطريرك فوتيوس ، وجمعتهما فى مناصرة فوتيوس والانتماء للتيار المعتدل فى الكنيسة البيزنطية صداقة استمرت قوية حتى سنة ٩٠١م[3] • وفى نفس العام أصبح أرثاس المتحدث الرسمى للقصر الامبراطورى ، وفى أواخر سنة ٩٠٢م أصبح رئيس أساقفة قيصرية (فى ثيم قبدوقيا Cappadocia) ، وبحكم مركزه هذا وعضويته فى المجمع الدائم لبطريركية القسطنطينية كان يقضى معظم الوقت فى العاصمة البيزنطية[4] • وفى حفل تنصيب نيقولا مستيكوس بطريركا فى أول مارس سنة ٩٠١م امتدح أرثاس فى خطبة رسمية موجهة للامبراطور ليو

الســـادس ، الفضائل والخصال الحميدة التى يتمــيز بهـــا صديقه نيقولا[٥] • ولكن هذه الصداقة لم تعمر طويلا ، اذ أخذت الوحشـــة بين الرجلين تنمو تدريجيا ، وبعد بضعة سنوات أصبح أرثاس من ألد أعداء نيقولا مستيكوس • ويبدو أن أسباب هذا التحول ترجع جذورها الى سنة ٩٠٠م ، عندما قام عدد من رجال الدين المتشددين (من أنصار البطريرك اجناتيوس Ignatios) بتوجيه تهمة الخروج على المسيحية لأرثاس •وبالفعل تم تقديمه الى محكمة كنسية انعقدت فى كنيسة الحكمة المقدسة،وجاء الحكم فى النهاية بتبرئته من التهمة المنسوبة اليه • وعندما اعتلى نيقولا مستيكوس عرش البطويركية ، توقع أرثاس من صديقه أن ينتقم له من أولئك الذين حاولوا الاضرار به والاساءة لسمعته ، ولكن البطريرك الجديد لم يفعل شيئا من هذا القبيل حرصا منه على وحدة الكنيسة البيزنطية[٦] • واعتبر أرثاس هذا الموقف السلبى من جانب نيقـــولا مستيكوس خيانة للصداقة التى ربطت بينهما • وبعد أربع ســـنوات ، حانت له الفرصة كى ينتقم من نيقولا بالانضمام الى التيار المتشــــدد داخل الكنيسة البيزنطية (أعداء الأمس) • وكان هذا التيار قد تبلور من جديد فى معارضة شـــديدة للزواج الرابع للامبراطور ورفض لكل أشكال الحلول الوسط[٧] •

عـــلى أية حال ، بعد عودته من مهمته فى اليـــونان ، أثار أرثاس Arethas موجة اعتراض عارمة ، وكتب عدة رســـائل الى الامبراطور ليو السادس وجه فيها اللوم له على زواجه للمرة الرابعة ومخالفة قوانين الكنيسة والدولة ، وذكره فيها بأهمية منصبه الامبراطورى وضرورة أن يكون قدوة لهذه الأمة • لقد اتهمه بالانتهازية وتفســـير أقوال آباء الكنيسة على هواه ، وطالبه بكبح جماح رغباته ، واحترام قوانينه ، ووضع حد لهذه العلاقة المحرمة بالانفصال عن زوى الثانية حتى يمكن استقباله من جديد فى الكنيسة[٨] • كما هاجم أرثاس بعنف البطريرك نيقولا مستيكوس ، لأنه فى سعيه من أجل ارضاء الامبراطور ، حاول

أن يجعل الكنيسة تتسامح وتعترف بشكل استثنائى بزواج محـــرم • وسخر أرثاس من ادعاء نيقولا مستيكوس بالحرص على وحدة الكنيسة البيزنطية وشبهه بالطبيب الفاسد وكلب الحراسة العاجز (٩) • وهكذا يتضح من رسائل أرثاس أن نيقـــولا مستيكوس لم يعارض الزواج الرابع للامبراطور من البداية الى النهاية كما ادعى بعد ذلك فى رســـالته الى البابا اناستاسيوس الثالث Anastasius III ، بل سعى ربما معظم الوقت من أجل اقناع رجال الكنيسة بالتسامح والاعتراف بهذا الزواج •

أما سيرة ايثيميوس Vita Euthymii ، التى كتبها مجهول بين عامى ٩٢٠ ــ ٩٢٥م ، فتتناول حياة الراهب ايثيميوس ، الذى خلف نيقولا مستيكوس على عرش بطريركية القسطنطينية سنة ٩٠٧م • وكان ايثيميوس من أنصار البطريرك السابق اجناتيوس Ignatios وأحد أقطاب التيار المتشدد المعارض للزواج الرابع للامبراطور • وتعتبر هذه السيرة أقدم مصدر معاصر لعهد الامبراطور ليـــو السادس كما تقـــدم رواية شاهد عيان للأحداث التى تتناولها (١٠) • ويؤكد صاحب سيرة ايثيميوس فى روايته على الموقف المتناقض للبطريرك نيقولا مستيكوس فى الأزمة التى فجرها الزواج الرابع لليو السادس • ففى البداية عارض البطريرك اقامة زوى الثانية غير المشروعة فى القصر وتفكير الامبراطور المبكر فى الزواج منها ، ولكن هذه المعارضة انتهت قبل مولد قسطنطين ســـنة ٩٠٥م • ويبرر صاحب الســـيرة هذا التحول على أساس تورط البطـــريرك فى تمرد اندرونيكوس دوقاس Andronicus Dukas وافتضاح أمره ، فحـــاول اكتساب ود الامبراطور بالاستجابة لكل رغبـــاته بما فى ذلك تعميـــد قسطنطين بنفسه ، والتسامح فى زواجه الرابع ثم عدل عن ذلك فى النهاية ورفض استقباله فى الكنيسة (١١) • وفى ضوء ما ورد فى كتابات أرثاس وسيرة ايثيميوس ورسائل البطريرك نيقولا مستيكوس فضلا عما تضمنته المصادر الأخرى ، يمكن ترتيب الأحداث على النحو التالى :

أدى زواج الامبراطور ليو السادس للمرة الرابعة سنة ٩٠٦م الى

تفجر أزمة عنيفة بين الكنيسة والقصر • فهذه الخطوة الجريئة من جانب الامبراطور أثارت العناصر المتشددة ولم ترض العناصر المعتدلة داخل الكنيسة البيزنطيــة • ولم يكن فى وسع نيقــولا كبطــريرك لكنيسة القسطنطينية سوى اصــدار قرار الحرمان ضــد الامبراطور • وكان الامبراطور من جانبه يعلم تماما أنها عقوبة لا مفر من صدورها ضده ، ولكنه كان يعلق الآمال على البطريرك فى استصدار قرار استثنائى من الكنيسة باعتبار فعله حالة خاصة يمكن التسامح فيها وبالتالى الاعتراف بزواجه الرابع[١٢] • وبالفعل حاول نيقولا مستيكوس الاستجابة لذلك فى بداية الأمر • وبغض النظر عن تفسير صاحب سيرة ايثيميوس لهذه الاستجابة[١٣] ، فاننا نعتقد أن نيقولا ربما حاول مساعدة الامبراطور لأسباب أخرى • •لقد كان صديقا لليو السادس ، كما كان من أقطاب التيار المعتدل داخل الكنيسة والمعروف بتأييده التقليدى للقصر ، وربما سعى لتجنب شر أكبر ، اذ تروى احدى الحوليــات البيزنطيــة أن الامبراطور فكر فى اصدار قانون جديد ينص على اباحة الزواج للمرة الرابعة[١٤] •

وكان السماح للامبراطور ببدء فترة تكفير عن ذنبه وتحديدها هى الخطوة الأولى فى تسامح الكنيسة ، ويتضمن هذا دخوله الكنيسة صحبة البطريرك حتى حدود المذبح فقط[١٥] • وطبقا لرواية صــاحب سيرة ايثيميوس ، كان البطريرك مستعدا لاصدار تســامح استثنائى على مسئوليته ، كما عرض على ليو السادس فى مناسبتين اصطحابه الى داخل الكنيسة ، كانت الأولى فى أول مايو سنة ٩٠٦م (بعد الزواج مباشرة) والثانية فى ٦ من أغسطس من نفس العام[١٦] • ومن المرجح غيــاب أرثاس Arethas عن العاصمة فى المناسبة الأولى على الأقل وربمــا فكر نيقولا مستيكوس فى انتهــاز تلك الفرصــة المواتية واصطحاب الامبراطور الى الكنيسة ووضع المعارضــة أمام الأمر الواقع • ولكن الامبراطور تردد لأنه كان يفكر فى الأمر بصــورة مختلفة ، لقد أراد

اعترافا شرعيا بزواج لا يتطـــرق اليه الشك من أجل تأمين مستقبل ابنه الصغير قسطنطين • وبطبيعة الحال لا يتحقق هذا الا بصدور قرار استثنائى باجماع أعضاء المجمع الكنسى لبطريركية القسطنطينية • ولم يكن الاجماع متوفرا وان كانت أغلبية رجال الكنيسة تؤيد مســاعى البطريرك الايجابية[١٧] •

وجدير بالذكر أن هناك نقطة خلاف جوهرية بين المعتدلين والمتشددين فى مسألة السماح للامبراطور ببدء فترة تكفير عن ذنبه • فعندما عرض البطريرك نيقولا مستيكوس على الامبراطور اصطحابه الى الكنيسة لم يشترط انفصاله عن زوجته وكان هذا تسامحا يتضمن الاعتراف بزواجه• وعلى العكس من ذلك اشـــترط أرثاس وأنصـــاره ضرورة انفصـــال الامبراطور عن زوجته حتى يمكن استقباله فى الكنيسة وفى هذا عدم اعتراف بزواجه[١٨] •

وكان أرثاس قد أخذ يقود معارضة مؤثرة داخل الكنيسة رفضت كل أشكال الحلول الوسط ومحاولات الاقناع من جانب البطريرك أو الامبراطور • لقد تضمنت رسائل أسقف قيصرية التى كتبها بين مايو سنة ٩٠٦م ومارس ٩٠٧م الحجج التى تستند اليها المعارضة وقراءتها الصحيحة لقوانين الكنيسة ، فضلا عن تفنيد ادعاءات نيقولا مستيكوس وأنصاره ، وشجب محاولات ارضاء السلطة[١٩]• ومع نمو قوة المعارضة ازداد قلق البطريرك الذى كان يخشى انقسام الكنيسة • ورغم ذلك اســـتمرت وعود استقبال الامبراطور فى الكنيسة بعـــد التغلب على المعارضة •

يبدو أن العاصفة التى أثارتها المعارضة جعلت الامبراطور ليـــو السادس يطلب من البابوية وبطريركيات المشرق التدخل للنظر فى أمر زواجه الرابع ، وذلك بعقد مجمع دينى لحسم القضية وتجنب انقسام الكنيسة البيزنطية[٢٠] • وكان اللجوء الى البابوية مناورة جيدة ، لأنها

سترضى المتشددين الذين سبق لهم الاعتماد على كنيسة روما فى صراعهم ضد البطريرك السابق فوتيوس Photios من ناحية ، كما كان من المتوقع أن يكون موقف البابوية ايجابيا من الطلب الامبراطورى لمساعدتها بالتدخل من جديد فى شئون كنيسة القسطنطينية من ناحية أخرى(٣١) •
وتختلف المصادر فى بيان حقيقة موقف نيقولا مستيكوس من اللجوء الى البابوية وبطريركيات المشرق • فالبطريرك يدعى أنه هو الذى اقترح هذه الخطوة ، وأنه نصح الامبراطور بالانفصال عن زوى Zoe لحين حضور ممثلى البابوية وبطريركيات المشرق وحتى يتخذ المجمع الدينى المزمع انعقاده قرارا فى أمر زواجه ، ولكن ليو السادس رفض الانفصال عن زوجته غير الشرعية(٣٢) • أما صاحب سيرة ايثيميوس فيروى أن نيقولا مستيكوس كان لا يرى ضرورة للجوء الى البابوية وبطريركيات المشرق معلنا أنه سوف يستقبل الامبراطور فى الكنيسة دون مساعدة من الخارج(٣٣) • هذه الرواية الأخيرة تبدو معقولة لأن نيقولا ، كأحد أقطاب التيار المعتدل (الذى ناصر فوتيوس) وعلى رأس الكنيسة البيزنطية ، كان لا يرغب فى رؤية البابوية تتدخل من جديد فى شئون كنيسته(٣٤) •

كان موقف نيقولا مستيكوس بلا شك دقيقا • لقد وجد نفسه ممزقا بين رغبات القصر وضغط المعارضة داخل الكنيسة ، وكان يريد ارضاء الامبراطور وتجنب تدخل كنيسة روما ، ولكنه كان يخشى حدوث انقسام جديد فى الكنيسة البيزنطية • واذا كان قد عرض على ليو السادس فى مناسبتين اصطحابه الى الكنيسة ، فان الامبراطور تردد بسبب المعارضة ، وفضل الانتظار حتى يتعرف على موقف البابوية وبطريركيات المشرق•وللمرة الثالثة أعلن البطريرك استعداده لاصطحاب الامبراطور الى الكنيسة فى مناسبة عيد الميلاد فى ٢٥ من ديسمبر سنة ٩٠٦م ، لتجنب تدخل البابوية وعلى أمل التغلب على عناد المعارضة • ولكن هذه المرة كان نيقولا مستيكوس يقدم وعدا لن يستطيع الوفاء به

دون حدوث انقسام فى الكنيسة . فقد ازدادت المعارضة قوة ، وفشلت كل محاولات الترغيب والترهيب من جانب البطريرك والامبراطور(٢٥) .
وعندما حل عيد الميلاد سنة ٩٠٦م قرر الامبراطور قبول دعوة البطريرك بدخول الكنيسة بعد أن تأكد من ايجابية موقف البابوية وبطريركيات المشرق وعلم أن مندوبيها فى طريقهم الى القسطنطينية .

وعلى غير المتوقع ، عندما توجه ليو السادس وحاشيته الى كنيسة الحكمة المقدسة اضطر البطريرك الى منع دخوله ، ووعد باستقباله فى الكنيسة بعد اثنى عشر يوما فى مناسبة عيد العماد Epiphany . واضطر الامبراطور الى الانسحاب من أمام المدخل الرئيسى للكنيسة والتوجه من باب جانبى الى غرفة الاستراحة وتغيير الملابس المخصصة للأباطرة والتى تسمى mitatorion حيث تابع القراءة من الكتاب المقدس ثم اضطر الى مغادرة المكان قبل بداية قداس عيد الميلاد بسبب قرار الحرمان الصادر ضده(٣٦) . وفى مناسبة عيد العماد Epiphany الموافق ٦ من يناير سنة ٩٠٧م توجه ليو السادس صحبة أعضاء السناتو الى المدخل الرئيسى لكنيسة الحكمة المقدسة،ومرة أخرى فشل البطريرك فى استمالة المعارضة ولم يتمكن بالتالى من الوفاء بوعده وتحقيق رغبة الامبراطور . وتكرر مشهد منع الامبراطور من دخول الكنيسة واضطراره للانسحاب الى غرفة الاستراحة mitatorion حيث ظل هناك حتى انتهاء القراءة من الكتاب المقدس ليغادر المكان قبل بداية قداس عيد العماد Epiphany (٣٧) .

وجدير بالذكر ، أن سيرة ايثيميوس Vita Euthymii ، التى تتخذ موقفا معاديا من نيقولا مستيكوس ، تقدم تفسيرا لتغير موقفه من الامبراطور فى الفترة ما بين أغسطس وديسمبر سنة ٩٠٦م . اذ تروى أن ليو السادس ذكر لبعض معاونيه أنه ينوى ، بعد أن يتم استقباله فى الكنيسة والاعتراف بزواجه ، عزل نيقولا مستيكوس من منصبه بتهمة الخيانة العظمى لتورطه فى تمرد القائد اندرونيكوس دوقاس

Andronicus Dukas • ولما عــلم البطــريرك بنوايا الامبراطور ، غير ســياسته على الفور وتحول من تأييد الامبراطور والسعى من أجل التسامح فى زواجه الرابع الى معارضته ورفض الاعتراف بزواجه ، كما حث الأساقفة الموالين له على فعل الشيء نفسه[٢٨] • ولهذا السبب منع نيقولا مستيكوس الامبراطور من دخول الكنيسة فى عيد الميلاد الموافق ٢٥ من ديسمبر ٩٠٦م ، ومرة أخرى فى عيد العماد الموافق ٦ من يناير سنة ٩٠٧م •

على أية حال ، يبدو أن هذه الرواية تفتقر الى الصحة فى ضوء ما جاء فى وثيقة معاصرة هامة لا يتطرق اليها الشك[٢٩] • انها رسالة موجهة لأرثاس Arethas ، كتبهــا له تلميــذه وصديقه الراهب نيكتــاس البافلاجونى Nicetas Paphlagonos بعد عيد الميلاد سنة ٩٠٦م ببضعة أيام • وتروى الرسالة أنه فى ليلة عيد الميلاد سنة ٩٠٦م ، دعا نيقولا مستيكوس الراهب نيكتاس الى مقر البطريركية ، حيث استقبله بحضور أحد أقرباء نيكتاس المعروفين بولائهم للقصر ، وقدم له عشاء فاخرا رفض الراهب أن يتناوله • وحاول البطريرك بعد ذلك استمالة نيكتاس وحثــه على اقناع أرثاس بالتخلى عن معارضته لزواج الامبراطور ، ولكن الراهب رفض بشدة ، ولم يجد معه الوعد ولا الوعيد[٣٠] •

وهكذا يتضح أن نيقولا مستيكوس اتبع معظم الوقت سياسة موالية للقصر ، وكان بالفعل لايزال يحاول جاهدا التغلب على المعارضة داخل الكنيسة حتى يوم عيد الميلاد سنة ٩٠٦م • وربما استمرت هذه الجهود دون نجاح حتى يوم عيد العماد Epiphany فى ٦ من يناير سنة ٩٠٧م، حين أدرك نيقولا أنه لا أمل فى التغلب على المعارضة داخل الكنيسة ، وأعلن أنه لن يستطيع تحقيق رغبة الامبراطور بدون موافقة جميــع الأســاقفة[٣١] • وكان استقبال الامبراطور فى الكنيســة رغم أنف المعارضــة يعنى انقسام الكنيســة البيزنطية ، وهو أمر كان نيقولا مستيكوس حريصا غاية الحرص على تجنبه مهمــا كان الثمن • وأمام

عناد المعارضة واصرارها على التمسك بقوانين الكنيسة والدولة وعدم التسامح فى زواج غير شرعى من ناحيـــة ، واصرار الامبراطور على التمسك بزوجته وعدم الانفصال عنها من ناحية أخرى ، لم يكن أمام البطريرك سوى الانضمام الى المعارضة فى آخر الأمر[٣٢] .



حواشى الفصـل الثـالث

١ - انظر رواية نيقولا مستيكوس للأحداث كمـا وردت فى رسالته رقم (٣٢) الى البابا اناستاسيوس الثالث Anastasius III سنة ٩١٢م فى:

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, pp. 214- 244.

٢ - ومن بين كتابات ارثاس تعتبر رسائله الثمانية على جانب كبير من الأهمية لأنها تتناول قضية الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس ٠ ولقد قام الأسـتاذان باسيل لاورداس ، وروملى جنكنز بنشر هذه الرسائل والتعليق عليها سنة ١٩٥٦م ، انظر :

Jenkins and Laourdas, Letters of Arethas, p. 293-372.

أما خطب ارثاس التسعة فتعتـبر خطبـا رسمية القـاها جميعـا (باستثناء خطبته رقم «٤») أمام الامبراطور ليـو السـادس فى احتفالات رسمية أثناء شغله منصب المتحدث أو الخطيب الرسمى فى القصر بين عامى ٩٠١م و ٩٠٢م ٠ وتتضمن هذه الخطب مادة خصبة عن عهد الامبراطور ليو السادس ، وقد قام فريق مكون من: روملى جنكنز ، وباسـيل لاورداس ، وسـيريل مانجو بنشر هذه الخطب والتعليق عليها سنة ١٩٥٤م ، انظر :

Jenkins, Laourdas, Mango, **Nine Orations**, pp. 1-40.

للمـزيد عن ارثاس انظـر الدراسـة القيمة التى قام بهـا الأستاذ كوجياس ، فى :

Kougeas, Kaisareias Arethas, pp. 33-35, 85-89.

٣ - ولد ارثاس سـنة ٨٥٠م فى مدينـة باتراس Patras فى شـبه جزيرة البلوبونيز وكان ينتمى لأسرة عريقة ٠ وفى سنة ٨٩٥م انضم للسلك الكنسى وامتد عمره حتى سنة ٩٣٢م انظر :

Kougeas, Kaisareias Arethas, pp. 1-5, 8-9; Jenkins, Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 341;Grégoire, **âge Héroique, p.** 385.

٤ ـ Jenkins, Laourdas, Mango, **Nine Orations**, pp. 2-3; Kougeas, **Kaisareias Arethas**, pp. 7-10.

٥ ـ وفى خطبة أخرى القيت فى حفل غداء فى مقر البطريركية وفى حضور الامبراطور أيضا ، كرر ارثاس كلمات الاطراء بشكل موجز بمناسبة مرور عام على اعتلاء نيقولا لعرش البطريركية ، انظر نص الخطبة رقم (١) ، والخطبة رقم (٨) فى :

Jenkins, Laourdas, Mango, **Nine Orations**, pp. 17-20, 36-37.

٦ ـ انظر الرسالة رقم (١) التى كتبها ارثاس للبطريرك نيقولا والتى يرجع تاريخها الى منتصف سنة ٩٠١م ، والتعليق عليها فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 294- 298, 349-351.

وانظر أيضا :

Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 220.

٧ ـ Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 351.

٨ ـ انظر ما ورد فى الرسالتين رقم (٣) ورقم (٤) ، فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 303-307, 310,320.

٩ ـ انظر ما ورد فى الرسائل رقم (٣) ورقم (٤) وخاصة رقم (٥) ، فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 307-311, 318, 324- 326.

١٠ ـ عثر الأستاذ هيرشفلد Hirschfeld على مخطوطة ايثيميوس سنة ١٨٧٤م ، وقام الأستاذ دى بور De Boor بنشرها سنة ١٨٨٨م فى برلين مع التعليق عليها . ولما كانت المخطوطة بلا عنوان فقد أطلق عليها دى بور De Boor سيرة ايثيميوس Vita Euthymii لأن الراهب ايثيميوس هو الشخصية الرئيسية التى تدور حولها الأحداث ، انظر :

Vita Euthymii, Ein Anecdoton zur Geschichte Leon's des Weisen. A. 886-912, ed. C. De Boor (Berlin, 1888).

وفى سنة ١٩٥٧م قامت الاستاذة كارلين هيتر باعادة نشر المخطوطة مع ترجمة انجليزية صدرت فى المجلد الضخم لدورية Byzantion

انظر :

P. Karlin-Hayter, "Vita S. Euthymii", B, 25-27 (1955-1957), pp. 1-172 and Appendix pp. 747-778.

وفى سنة ١٩٥٩م أصدر الأستاذ الكسندر كجدان A. Kazdan ترجمة روسية للمخطوطة مع تعليق دون نشر النص اليونانى ، وقد قامت الأستاذة كارلين هيتر باعداد دراسة وعرض نقدى لهذه الترجمة (انظر :

(**Byzantion**, 32(1962), pp. 317-322 .

وفى سنة ١٩٧٠م أعادت الأستاذة كارلين هيتر نشر المخطوطة كاملة مع ترجمة انجليزية وتعليق وهى التى اعتمدنا عليها فى هذه الدراسة . انظر هذه المخطوطة والتعليق فى :

Vita Euthymii, pp. 1-147. (النص) ، pp. 148-233. (التعليق) .

١١ - **Vita Euthymii**, pp. 69-71, 72-82; Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 76-77.

١٢ - انظر الرسالة رقم (٥) لارثاس والتعليق عليها فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 324-343.

وانظر أيضا :

Vita Euthymii, p. 93.

١٣ - يفسر صاحب سيرة ايثيميوس قيام البطريرك بتعميد قسطنطين فى ٦ من يناير سنة ٩٠٦م واستعداده للاستجابة لرغبة الامبراطور على أساس افتضاح أمر تورطه فى مؤامرة القائد اندرونيكوس دوقاس **Andronicus Dukas** التى انتهت بتمرده . وطبقا لهذه الرواية ، وقعت فى يد الامبراطور رسالة أرسلها البطريرك للقائد المتمرد فى آسيا الصغرى خاطبة فيها بامبراطور المستقبل ونصحه بمواصلة الثورة وعدم الاستجابة لوعود العفو عنه ، انظر :

Vita Euthymii, p. 68.

١٤ - **G. Mon. Cont.**, p. 866; **Scylitzes**, p. 185.

وانظر أيضا : أسد رستم : **الروم** ، جـ ٢ ، ص ١٦ .

١٥ ـ **Vita Euthymii**, p. 197; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 74.

والمعروف أن الامبراطور فى الأحوال الطبيعية له حق دخول مذبح الكنيسة لحضور القدامس الدينى .

١٦ ـ **Vita Euthymii**, pp. 71-73, 83-85; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 343; Jenkins, **Tetragamy** p. 234.

١٧ ـ Karlin-Hayter, **New Arethas Texts**, pp. 281, 291-293; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 76.

١٨ ـ Vita Euthymii, p. 197.

وانظر أيضا رسالة ارثاس رقم (٣) فى :

Jenkins and Laourdas, Letters of Arethas, pp. 305-306.

١٩ ـ Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas, pp.** 294-333.

٢٠ ـ **Vita Euthymii**, pp. 73, 79, 81.

٢١ ـ انظر تعليق الأستاذ جنكنز فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 343.

٢٢ ـ **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, p. 222.

٢٣ ـ **Vita Euthymii**, pp. 73, 81.

وقارن أيضـا :

Jenkins, **Tetragamy**, p. 234; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 343;Karlin-Hayter, **Arethas Documents IV**, p. 461.

٢٤ ـ يظهـر التناقض بوضوح فى رسالة البطريرك نيقولا مستيكوس رقم (٣٢) الى البـابا اناستاسيوس الثـالث . ففى البـداية يدعى البطريرك أنه صـاحب اقتراح دعوة البابوية وبطريركيات الشرق لعقد مجمع دينى لحسم قضية الزواج الرابع ، ثم يشكو بعد ذلك من تجاهل الامبراطور له وقيامه بدعوة البابوية للنظر فى شأن من شئون الكنيسة البيزنطية ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, p. 222.

٢٥ ـ عن ازدياد قوة المعارضة ، انظر :

Vita Euthymii, p. 81.

وعن محاولات الامبراطور الضغط على المعارضة ، انظر رسالة ارثاس رقم (٧) والتعليق عليها فى :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 332, 344, 369.

٢٦ – **Vita Euthymii**, pp. 75, 77, 85.

وانظر أيضا حاشية رقم (٣٨) من الفصل الثانى .

٢٧ – يروى صاحب سيرة ايثيميوس أن نيقولا مستيكوس اعترض دخول الامبراطور الى الكنيسة فى عيد العماد قائلا له :

«طالما لم يوافق جميع الأساقفة بما فيهم ارثاس ، فاننى لا أستطيع السماح لك بدخول الكنيسة . واذا حاولت يا صاحب الجلالة الدخول بالقوة ، فاننى وكل الحاضرين سنغادر المكان على الفور» . انظر :

Vita Euthymii, pp. 77-79, 85.

ويعتقد بعض المؤرخين أن قيام البطريرك بمنع الامبراطور من دخول الكنيسة فى مناسبتى عيد الميلاد وعيد العماد كان تنفيذا لقرار المجمع الدائم لبطريركية القسطنطينية ، انظر :

Hajjar, **Synode Permanent**, p. 133.

٢٨ – **Vita Euthymii**, pp. 73-75.

٢٩ – Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 344.

٣٠ – Lambros and Kougeas, **Epistole Niketa**, pp. 301-306, 311.

وانظر أيضا :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 344-345.

٣١ – **Vita Euthymii**, pp. 77, 83; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 334, 345; Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 75-76.

٣٢ – ويعتقد بعض المؤرخين أن التبدل الذى طرأ على موقف نيقولا مستيكوس وانضمامه الى المعارضة فى آخر الأمر يرجع لاعتراضه على تدخل البابوية واصراره على تأكيد استقلال الكنيسة البيزنطية ، انظر :

Diehl, **Byzantine Portraits**, p. 194; Salaville, **Léon VI le Sage**, Col. 371.

الفصل الرابع

عزل نيقولا مستيكوس وبطريركية ايثيميوس

أدى قيام نيقولا مستيكوس بمنع الامبراطور على الملأ من دخول الكنيسة الحكمة المقدسة فى ٢٥ من ديسمبر ٩٠٦م ، ومرة أخرى فى ٦ من يناير سنة ٩٠٧م الى احراج الامبراطور ووضع الكنيسة فى مواجهة حادة مع القصر • ولكن ليو السادس أبدى فى المناسبتين قدرا طيبا من الصبر وضبط النفس • وبعد انتهاء قداس عيد العماد فى ٦ من يناير سنة ٩٠٧م، دعا الامبراطور البطريرك والأساقفة الى الوليمة المعتادة فى تلك المناسبة فى القصر[١] • واعتذر عن حضورها اثنان من أقطـــاب المعارضة هما أرثاس Arethas وابيفانيوس Epiphanios • وفى البداية حاول نيقولا الاعتذار عن الحضور أيضا فقـــام الامبراطور بدعوته مرة أخرى ، فاضطر للحضور بحكم منصبه وبصحبته الأساقفة[٢] • واستغل ليـــو السادس هذه المناسبة لطرح قضيته ، فبعد الانتهـــاء من الطعام وجه حديثه أمام جميـــع الحضور الى البطريرك معـــاتبا ، وعدد المرات التى وعده فيهـــا بالاستقبال فى الكنيســـة ، وكيف أحرجه برفضه • وذكر الامبراطور للحضور كيف كان نيقولا ودودا تجاه زوى كاربونوبسينا Zoe Carbonopsina خلال فترة حملها عندما كان يحضر ويتنـــاول طعام الغذاء معها فى القصر ، ويربت عليها مباركا جنينها ، وكيف أمر سبعة قساوسة بالانقطاع عدة أيام فى كنيسة الحكمة المقدسة للصلاة والدعاء لها (خلال فترة الحمل) ، ثم جاء بعد ذلك يبشر بأن الجنين سيكون طفلا ذكرا[٣] • وكان جواب نيقولا مستيكوس على ذلك ، أنه لم يعلم فى ذلك الوقت أن الأساقفة سيعترضون على سياسة التسامح التى كان ينتهجها بهذا الحزم والقوة • وأنه لا يستطيع تجاهل اعتراضهم والتصرف بغير موافقتهم خوفا من شرخ وحدة الكنيسة[٤]• وهنا يبدو نيقولا صادقا فى حرصه على سلام الكنيسة ووحدتها• وبعد هذا الحوار أمر ليو السادس باحضار طفله قسطنطين وحمله بين يديه والدموع فى عينيه،وقال للأساقفة

ان كل مايطمع فيه هو دخول الكنيسة حتى حدود المذبح كى يبدأ فترة تكفير عن ذنبه•ويقول صاحب سيرة ايثيميوس أن بعض الأساقفة تأثروا من الموقف ومالوا للاستجابة لطلبه[٥]•على أية حال،بعد انتهاء الاحتفال وعودة الأساقفة الى البطريركية ، اجتمع بهم نيقولا مستيكوس وطلب منهم الثبات على الموقف ، وعدم الاستسلام لرغبات الامبراطور والمقاومة حتى الموت ، وعدم الاستقالة من كراسيهم الأسقفية مهما كانت الظروف ، وأن يلتزموا بقوانين الكنيسة ، ثم جعلهم يقسمون على ذلك ويؤكدون التعهد بالتضامن معه كتابة[٦] • وبهذا يتأكد تحول نيقولا مستيكوس وانضمامه الى معسكر المعارضة بعد أن وصلت علاقته بالامبراطور الى طريق مسدود •

وقعت المواجهة التالية بين الامبراطور والبطريرك فى يوم عيد القديس تريفون St. Tryphon فى أول فبراير سنة ٩٠٧م ، حين أقام ليو السادس المأدبة الرسمية المعتادة فى تلك المناسبة فى القصر ، ودعا البطريرك والأساقفة اليها[٧] • وبعد الانتهاء من الطعام انتقد الامبراطور تصرفات نيقولا مستيكوس بحدة ، فاستعرض أمام الحاضرين اتفاقه معه ووعود استقباله فى الكنيسة ، ووصفها بأنها «اتفاقات فارغة» و «وعود كاذبة»[٨] • واتهمه بالتحايل واهانة المقام الامبراطورى • وفى اجابته كرر البطريرك القول بأنه كان على استعداد للتسامح فى زواجه واستقباله فى الكنيسة اذا وافق جميع الاساقفة • وواصل الامبراطور هجومه على نيقولا فأشار الى تواطئه مع القائد اندرونيكوس دوقاس وتآمره معه ضد العرش ، ثم التفت الى الاساقفة الحضور وأعلن رسميا احالة قضية زواجه الرابع الى المجمع المقدس الذى يمثل كل لكنائس والذى سينعقد بمجرد وصول ممثلى البطريركيات الاخرى الى العاصمة البيزنطية[٩] • وكان ليو السادس على ثقة من ايجابية القرار الذى سيصدر عن هذا المجمع ، فقد علم أن مندوبى

البـــابوية وبطريركيات المشرق عبروا حـــدود الدولة البيزنطية وانهم يقتربون من القسطنطينية ومعهم ردود ايجابية(١٠) •

ولم يشأ الامبراطور اطالة أيام نيقـــولا مستيكوس على عـــرش البطريركية ، ففى نفس اليوم الاول من فبراير سنة ٩٠٧م ، تم القبض عليه وعلى من ناصره من الاساقفة ونفيهم بعد أن رفضوا الموافقة على دخول الامبراطور الكنيسة فى اليوم التالى الموافق ٢ من فبراير سنة ٩٠٧م(١١) • وربما كان غرض ليو السادس من هذا الاجراء ابعاد نيقولا مستيكوس عن المجمع المقدس المزمع انعقاده كاجـــراء احتياطى(١٢) • وهكذا تم القبض على نيقـــولا حيث وضع فى قارب صغير ونقل عبر البوسفور الى هيريا Hieria ، من ضواحى خلقدونية Chalcedon ، ثم اقتيد سيرا على الاقـــدام وسط انهمار الثلوج الى دير جـــالاكرنس Galacrenes الذى كان نيقولا قد أعاد تشييده(١٣) •

وبطبيعة الحال ، كان الامبراطور بحـــاجة الى تبرير واضح لعزل البطريرك ، فقام باستدعاء تسع شخصيات ، من علاثلات مرموقة من بينهم اثنان من كبار القادة العسكريين ، ممن هجروا معسكر القائد الثائر اندرونيكوس دوقاس ، الى جلسة استماع حضرها عدد من الاساقفة المعتدلين • وفى تلك الجلسة شهد الرجـــال التسعة بتواطىء نيقـــولا مستيكوس مع الثائر ، وأكدوا صحة الرسالة التى كتبها نيقولا له(١٤) • وعندما طالب الامبراطور بعقد محاكمة عاجلة لنيقولا ، رد الاساقفة على الفور بأنه قد عزل بالفعل من منصبه ولايجوز توقيع عقوبتين على نفس الشخص لنفس التهمة(١٥) •

وفى الخامس من فبراير سنة ٩٠٧م ، أرسل الامبراطور الى نيقولا مستيكوس يطلب استقالته ، فتردد الاخير وادعى المرض • فأرسل له الامبراطور مرة أخرى رسالة مع ساموناس Samonas الذى اصطحب معه بعض الاساقفة المعتدلين(١٦) • وخاطب الامبراطور فى رسالته هذه

نيقولا بدون ألقاب وطالبه بتقديم استقالته فورا ، وهدده — فى حالة الرفض — بابراز رسالته الى القـــائد المتمرد اندرونيكوس دوقاس وتقديمه الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى • فقام نيقولا باخراج ورقة استقالته وعرضها على الاساقفة مؤكدا انه كتبها ووقعها بنفسه(١٧) •

ويلاحـــظ أن سيرة ايثيميوس Vita Euthymii حــــرصت على تصوير الاساقفة الذين جـــاءوا مع مبعوث الامبراطور وكأنهم يجهلون فحوى رسالة الامبراطور أو الغرض من المهمة ، ولهذا فهم لا يوافقون على استقالة نيقولا ويحاولون اقناعه بالعدول عنها ، ولكنه أصر على موقفه وسلمها لسلمونـاس(١٨) • وأوضح نيقـــولا فى استقالته انه تنحى عن منصب البطريرك ، دون الانسحاب من السلك الكنسى ، لانه عجز عن اصدار تسامح لصالح ليو السادس(١٩) • وتروى سيرة ايثيميوس أيضا أن نيقولا كتب استقالة ثانية بعد ذلك بمبادرة شخصية من جانبه وأرسلها للامبراطور ، وفيها كرر القول بعجزه عن اصدار التسامح الذى وعد به الامبراطور بسبب الاختلاف حول هذا الامر فى الكنيسة ، وانه تنحى عن عرش البطريركية ، مع الاحتفاظ بمركزه كأسقف ، ليتيح الفرصة أمام زميل آخر لتسوية القضية(٢٠) •

أشارت ســــيرة ايثيميوس فى أكثر من موضـــع الى تورط نيقولا مستيكوس فى تمرد القائد اندرونيكوس دوقاس • وكان تورطه هـــذا ورقة استغلها الامبراطور للضغط عليه كما كانت مبررا للتخلص منه • ومن الافضل أن نتوقف قليلا أمام تمرد هذا القائد لنناقش حقيقة تورط البطريرك • وتجدر الاشارة الى أن المراحل المختلفة لتمرد هذا القائد وما ارتبطت به من أحداث كما جاءت فى المصادر البيزنطية تبدو مضطربة بسبب عدم استقامة التسلسل الزمنى للاحـــداث ، ولهذا يجب توخى الحــذر(٢١) •

كانت أسرة دوقاس Doukai من الاسر المرموقة التى تنتمى لطبقة

الارستقراطية العسكرية ، التى امتلكت مساحات ضخمة من الاراضى الزراعية والرعوية فى ثيمات آسيا الصغرى ، واحتكر العديد من أبنائها مناصب القيادة العسكرية وتميزوا فى القتال ضد المسلمين • ومنذ القرن التاسع وحتى القرن الحادى عشر الميلادى ، شكلت هذه الطبقة خطرا دائما على الحكومة المركـــزية بسبب تطلع أبنائها لاغتصـــاب العرش والتاج[٢٢] • ويبدو أن القائد اندرونيكوس دوقاس ، قد تآمر فى سنة ٩٠٣م ، مع ايستاثيوس ارجيروس Eustathios Argyros وعدد آخر من كبار القادة العسكريين ، ضد الامبراطور ليو السادس[٢٣] • وإذا كان ساموناس Samonas ــ الموظف المسئول عن جهاز الامن السرى والمقرب من الأمبراطور ــ قد نجح فى كشف هذه المؤامرة فى سنة ٩٠٤م ، فان ليو السادس لم يتخذ أى اجراء ضد اندرونيكوس الذى ظل يتولى القيادة العسكرية فى منطقة الحدود البيزنطية الاسلامية حتى سنة ٩٠٥م[٢٤] • ولكن كشف المؤامرة أدى الى استحكام العداء بين القـــائد الكبير من ناحية ، وساموناس الذى ازداد نفوذه بشكل خطير منذ منتصف سنة ٩٠٤م وأصبح المتصرف الحقيقى فى شئون الحكومة والقصر من ناحية أخرى • وأدت دسائس ساموناس الى بداية عصيان اندرونيكوس أوامر الامبراطور ، ثم تمرده واعتصامه فى حصن كافالا Cavala بالقرب من قونيـــة Iconium [٢٥] • وفشلت محاولات الامبراطور لاستمالة القائد الذى رفض كل عروض العفو عنه[٢٦] • واضطر الامبراطور فى النهاية الى ارسال جيش بقيادة القـــائد جريجـــورى ايفريتزس Gregory Iveritzes حيث حاصره فى كافالا Cavala لمدة ستة شهور • وفى النهاية طلب اندرونيكوس الآمان من المسلمين • وبمجرد اجابة طلبه قام فى صحبة أسرته وخدمه ومن تبقى من أنصاره فضلا عن مائتى أسير مسلم ضمهم اليه وسلحهم ، باختراق الحصار وشق طريقه الى طرسوس ، ومنها اتجه الى بغداد حيث استقر فيها[٢٧] •

وتنفرد سيرة ايثيميوس بتأكيد تواطؤ نيقولا مستيكوس مع القائد

اندرونيكوس دوقاس • وتشير الى فرار أحد اتباع اندرونيكوس من حصن كافالا الى القسطنطينية حيث قدم للامبراطور أربع رسائل تلقاها القائد المتمرد من العاصمة البيزنطية • وكانت احداها رسالة كتبها نيقولا مستيكوس وخاطب فيهـا اندرونيكوس بامبراطور المستقبل ونصحه بالتمسك بموقفه ودعم قواته ومواصلة الثورة وعدم الاستجابة لوعود العفـو عنه مؤكدا أن القسطنطينية ستكون فى انتظـاره بعـد فترة قصيرة[٢٨] •

ولقد شكك بعض المؤرخين الحديثين فى مصداقية هذه الرسالة ، فاعتبرها البعض وثيقة مزورة من اعداد ساموناس استهدفت تبرير عزل البطريرك[٢٩] • واعتبرها البعض الآخر رواية من اعداد أنصار ايثيميوس الذين كانوا دائما على استعداد للاساءة الى سمعة نيقولا مستيكوس[٣٠] • ومهما اختلفت الآراء فيجب ألا ننسى أن تورط البطريرك بهذه الصورة، يمثل عنصرا رئيسيا فى سياق رواية صاحب سيرة ايثيميوس وتفسيره للاحداث : فقـد أدى اكتشاف المؤامرة وافتضاح أمر البطريرك الى اذعانه لكل رغبات الامبراطور ، ثم كان علمه بعـزم الامبراطور على التخلص منه سببا فى انقلابه وتحوله الى المعارضة فى شتاء ٩٠٦/٩٠٧م• وكيفما كان الامر ، يمكن تفسير موقف نيقولا مستيكوس من ليو السادس طوال عام ٩٠٦م وحتى عزله فى أول فبراير سنة ٩٠٧م بشكل مستقل تماما عن مسألة تورطه فى تمرد اندرونيكوس كما سبق أن أشرنا • ومع ذلك يظل احتمال تواطؤ نيقولا مع اندرونيكوس دوقاس أمرا واردا ، ويمكن النظر اليه كمحاولة يائسة من جانب البطريرك للخروج من الازمة التى وجد نفسه فيها فى سنة ٩٠٦م[٣١] •

وباستقالة نيقولا مستيكوس أصبح فى امكان الامبراطور ترشيح بطريرك جديد • ويروى صاحب سيرة ايثيميوس ــ وهـو مصدرنا الرئيسى فيما يلى من أحداث ــ ان آراء الاساقفة والامبراطور اجتمعت

على تفضيل اختيار ايثيميوس ، الذى كان راهبا تقيا يحظى باحترام الجميع[٣٢] • فذهب وفد من الاساقفة لزيارة الراهب فى دير بساماثيا Psamathia للتعبير عن الرغبــة فى ترشيحه لشغــل عرش بطريركية القسطنطينية ، ولكنه رفض العرض • وحــاول أعضاء الوفد اقناع ايثيميوس دون جدوى ، فأكدوا له أن نيقولا مستيكوس استقال بمحض ارادته ، وانه فى الوقت الذى طالبهم فيه بالثبات وعدم الاستقالة من كراسيهم الاسقفية ، كان هو أول من كتب استقالته وتجاهل توسلاتهم بالعدول عنها[٣٣] • ويلاحظ أن هذه العبارة ستصبح دعوى ثابتة يرددها أنصار ايثيميوس فى مواجهة ادعاء نيقــولا مستيكوس بعد ذلك بأنه البطريرك الشرعى الوحيد •

واضطر الامبراطور الى الذهــاب بنفسه لاستمالة ايثيميوس • وأوضح له الامبراطور انه اذا لم يقبل عرش البطريركية فلن يكون هناك أمل فى غفران ذنبه وحل مشكلته وسيترتب على ذلك وقــوع شر أكبر وهرطقة[٣٤] • وربما يكون فى هذا القول تلميح الى ما أشارت له احدى الحوليات البيزنطية عن تفكير الامبراطور فى اصدار قانون جديد ينص على اباحة الزواج للمرة الرابعة[٣٥] • وكانت اجابة ايثيميوس واضحة فلا يجوز تنصيب بطريرك جديد بينما نيقولا مستيكوس لا يزال على قيد الحياة ، وقد عزل من منصبه بصورة غير شرعية وبدون قرار مجمع كنسى[٣٦] • فروى الامبراطور ما جرى من أحداث وعرض على الراهب وثيقة استقالة نيقولا ليقرأها • وتعتبر هذه الوثيقة الاستقالة الثالثة التى أشارت لها سيرة ايثيميوس ، ويلاحظ أنها موجهة الى الاساقفة وتختلف الى حد ما عن الاستقالتين السابقتين • وفى هذه الوثيقة يشير نيقولا مرة أخرى الى الاختلاف بين الاساقفة الذى ما كان يجب أن يحــدث • ولكن بما انهم قد وافقوا على اصــدار تسامح فى زواج الامبراطور ، فانه يعترف باجماعهم ويستقيل من كرسى البطريركية[٣٧] • وبعد اقتنــاع ايثيميوس بما جاء فى وثيقة استقــالة نيقولا ، أوضح

امره عن يعرض • وبعد بضعة ايام (ربما بعد منتصف فبراير سنه ٩٠٧م) قام ليو السادس مرة أخـــرى بزيارة ايثيميوس ، وبصحبته مبعوثيه ليو خويروسفاكتس Leo Choirosphactes وسيميون Symeon اللذين وصلا الى القسطنطينية بصحبة ممثلي كنائس الشرق والمغرب[٣٨]• وقدم له الامبراطور الوثائق التى تضمنت أحكام البابوية وبطريركيات المشرق فى أمر زواجه للمرة الرابعة وكانت جميعها ردودا ايجابية • وفى نفس الوقت كان معظم أساقفة الكنيسة البيزنطية قد وافقوا كتابة على استقبال الامبراطور فى الكنيسة لبدء فترة تكفير عن ذنبه • ولم يكن أمام ايثيميوس سوى قبول كرسى البطريركية[٣٩] •

وقام الامبراطور ليـــو السادس بدعوة أساقفة الكنيسة البيزنطية وممثلي البابوية وبطريركيات المشرق لحضـــور مجمع دينى انعقد على الارجح فى أواخر فبراير سنة ٩٠٧م للنظر فى قضية زواجه الرابع[٤٠]• وقرر المجمع فى النهاية الموافقة على اقتراح مندوبى البابوية بالتسامح فى زواج الامبراطور ، والسماح بدخوله الكنيسة كى يبدأ فترة تكفير عن ذنبه ، دون المطالبة بانفصاله عن زوجته • كذلك اعتمد المجمع اعتزال نيقـــولا مستيكوس منصبه ، ووافق على ارتقـــاء ايثيميوس كرسى بطريركية القسطنطينية[٤١] • وهكذا حقق ليو السادس هدفه بعد أن قام بكل ما هو ضرورى لتأكيد شرعية ابنه وضمان حقه فى وراثة العرش•

ولكن ما الذى أصاب الكنيسة البيزنطية ؟ ولمـــاذا تبدلت المواقع التقليدية لتياراتها ؟ فحتى يناير سنة ٩٠٧م كان التيار المعتدل المعروف بولائه للقصر ، الذى يمثله أنصار البطريرك الســـابق فوتيوس وعلى رأسه البطريرك نيقولا مستيكوس يؤيدون التسامح فى زواج الامبراطور ، بينما كان التيار المتشدد المعارض ويمثله أنصـــار البطريرك السابق اجناتيوس ومن أقطابه ايثيميوس يعارضون الاعتراف بزواج الامبراطور

ويطالبون بانفصاله عن زوجته • وأمام اصرار المعارضة على الرفض اضطر نيقولا مستيكوس الى العدول عن رأيه والاستقالة من منصبه فى النهاية • وعلى غير المتوقع انقلبت المعارضة وعلى رأسها الآن ايثيميوس وارثاس وبدلت موقعها وجاءت راضية لتوافق على التسامح فى زواج كانت تعتبره حتى الامس القريب علاقة محرمة • يرى المؤرخ الروسى بوبوف Popov أن أنصار اجناتيوس الذين مثلوا المعارضة منذ عودة فوتيوس الى عـــرش البطريركية ســـنة ٨٧٧م ، كانوا على استعداد للتضحية بمبادئهم من أجل استرداد السلطة والعودة لقيـــادة الكنيسة البيزنطية[٤٢] • وهكذا اعتلى ايثيميوس عرش البطريركية وأصبح على رأس التيار المعتدل فى أواخر فبراير سنة ٩٠٧م ، بينما تحول البطريرك المنفى نيقولا مستيكوس ليمثل التيار المتشدد والمعارضة • واستمرت كنيسة روما الحليف القـــديم لاجناتيوس وأنصـــاره تؤيد خلفاءهم ايثيميوس وأنصاره فى موقعهم الجديد[٤٣] •

وتجدر الاشارة الى أن سيرة ايثيميوس تؤكد باستمرار على أهمية حكم البابوية فى المسألة المتنازع عليها • وكان قرار التسامح فى زواج الامبراطور الذى جاء به مندوبو كنيسة روما عاملا حاسما فى تحقيق رغبـــة ليو السادس ، كما كان مشجعا لايثيميوس فى قبـــول عرش البطريركية[٤٤] • ويجب ألا ننسى أن البابوية لم تقم بتغيير مبادئها أو مخالفة قوانينها من أجل دعم الامبراطور البيزنطى فى الخلاف القائم بينه وبين كنيسته ، بل كان قرارها متفقا مع وجهة نظرها فى مسألة تكرار الزواج بسبب الوفاة • وعلى هـــذا وافق البـــابا سرجيوس الثالث Sergius III (٩٠٤ — ٩١١م) على التسامح فى زواج ليـــو السادس للمرة الرابعة لان زوجاته الثلاث توفين على التوالى • وبوفاتهن انتهت كل روابط الزوجية شكلا وقـــانونا ، مما يؤهـــل الامبراطور لزواج جديد[٤٥] •

وبارتقاء ايثيميوس عرش بطريركية القسطنطينية حل الانقسام فى فى الكنيسة البيزنطية من جديد ، الامر الذى حاول نيقولا مستيكوس أن يتجنبه • وكان الانقسام هـــذه المرة بين أولئك الذين وافقوا على التسامح فى زواج الامبراطور واستقباله فى الكنيسة من ناحية ، وأولئك الذين وقفوا الى جانب نيقـــولا مستيكوس وتمسكوا بأنه البطريرك الشرعى الوحيد من ناحية أخرى • وانضم الى هذا الفريق الاخير عدد ممن رفضوا التسامح فى الزواج الرابع دائما ، مثل الراهب نيكتاس البافلاجونى[٤٦] • وبطبيعة الحال تعرض هذا الفريق المعارض لغضب السلطة ، فكان العزل والنفى أو السجن من نصيب أعضائه[٤٧] • وكان ارثاس وابيفـــانيوس Epiphanios من الاساقفـــة الاوائل فى معسكر المعارضة • وبعد رفضهما حضور المأدبة الرسمية المعتادة بعد قداس عيد العمـــاد فى القصر الامبراطورى قـــام الامبراطور بنفيهما الى تراقيا Thrace [٤٨] • ولكن ارثاس عرف بسرعة طريق العودة وارضاء السلطة بعد أن استنفدت معارضته أغراضها • فبعد تنصيب ايثيميوس بطريركا كتب ارثاس الى الامبراطور وطلب الاذن بالخروج من منفاه للقـــاء البطريرك الجديد ، فأذن له • وحضر بالفعل الى القسطنطينية والتقى ايثيميوس ، ثم توجه بعد ذلك الى القصر ليعلن للامبراطور أنه توصل الى تفاهم مع البطريرك الجديد ، وسوى خـــلافه مع الكنيسة ، وانه بالتالى يوافق على تسامحها فى أمره[٤٩] • وترتب على هـــذه المصالحة استرداد ارثاس موقعه ومزاولته مهام منصبه على رأس أسقفية قيصرية • ورغم أن سيرة ايثيميوس ترجع تحول ارثاس عن المعارضة الى تأثير البطريرك ايثيميوس عليه[٥٠] ، فمن المرجح أن عداءه الشخصى لنيقولا مستيكوس كان السبب الرئيسى فى معارضته الاولى وفى انقلابه الاخير • ففى البداية انضم ارثاس للتيار المعارض للتسامح فى زواج الامبراطور فى الوقت الذى كان نيقولا مستيكوس يعمل من أجل تحقيق هذا التسامح • ونجح ارثاس بمعارضته العنيفة فى احراج نيقولا واسقاطه فى النهاية • وبسقوطه لم يعد هناك مبرر لمعارضة ارثاس ، فبدل موقعه وعدل سياسته

وأرضى الامبراطور ولكنه استمر يهاجم البطريرك المعزول وأنصاره من قاعدة قوية وآمنة[٥١] • وفى دفاعه عن نفسه يذكر ارثاس أنه لم يكن مخالفا لقوانين الكنيسة فى معارضته الاولى وانه تشبث بموقفه رغم الضغوط وعارض بالقلم وبالفعل وانه يستحق الثناء على ذلك • كما يذكر انه ليس نادما على معارضته الاولى ، لكن مصالح الكنيسة كانت السبب الرئيسى فى قراره بنبذ المعارضة وتسوية خلافه مع القصر[٥٢] •

وجدير بالذكر أن ايثيميوس لم يكن ، خلال فترة بطريركيته ، تابعا خاضعا لمشيئة القصر بل احتفظ بسلطاته وحرص على استقلال قراره وخاصة فى الامور التى تمس المصلحة العليا للكنيسة • ورغم تسامحه فى زواج ليو السادس واستقباله فى الكنيسة الا أنه رفض اعلان زوجته زوى امبراطورة Augusta رسميا فى الكنيسة ، كما رفض وضع اسمها فى السجلات الكنسية أو ترديده فى الصلوات — كما جرى العرف — رغم كل الضغوط التى تعرض لها من جانب الامبراطورة وأقاربها[٥٣] • وكانت وجهة نظر ايثيميوس أن الكنيسة البيزنطية تسامحت فى زواج الامبراطور باعتبار فعله حالة تسامح استثنائية ولم تضع قانونا أو قررت حكما باعتبار مثل تلك الزيجات مشروعة • أكثر من هذا ، أمر البطريرك بتحريم كل صور التسامح فى المستقبل تجاه الزواج للمرة الرابعة نهائيا[٥٤] • ولم يكن أمام الامبراطورة زوى سوى الاكتفاء بالاعتراف الرسمى بها من قبل السناتو[٥٥] • ولكن ايثيميوس لم يعترض على تتويج الطفل قسطنطين بورفيروجنيتوس Constantine Porphyrogenitos امبراطورا مشاركا مع أبيه ، وقام بتتويجه يوم الاحد الموافق ١٥ من مايو سنة ٩٠٨م عندما كان قسطنطين فى الثالثة من عمره[٥٦] •

حواشى الفصل الرابع

١ ــ وتعتبر هذه الوليمة من مظاهر الاحتفال الرسمى بعيد العماد Epiphany وتتطلب حضور البطريرك وأعضاء المجمع الدائم للبطريركية ، انظر :

Bury, **Admin. System**, pp. 162-164.

٢ ــ **Vita Euthymii**, pp. 79, 208.

٣ ــ **Vita Euthymii**, pp. 79-81.

٤ ــ **Vita Euthymii**, p. 81.

٥ ــ **Vita Euthymii**, pp. 81-83.

٦ ــ **Vita Euthymii**, pp. 83, 209-210; Grumel, **Les Regestes**, no. 611, p. 140; Karlin-Hayter, **Arethas Documents IV**, p. 389.

وانظر أيضا : محمود سعيد عمران : **نيقولا مستيقوس** ، ص ١١ .

٧ ــ **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, p. 224; **Vita Euthymii**, p.83; Constantinides, **Nikolaos ho Mystikos**, p.50.

٨ ــ **Vita Euthymii**, p. 83.

٩ ــ **Vita Euthymii**, p. 85-87.

١٠ ــ علم الامبراطور أن مندوبى بطريركيات المشرق (انطاكية ، بيت المقدس ، الاسكندرية) فى طريقهم الى القسطنطينية من رسالة وصلته من مبعوثه ليو خويروسفاكتس الذى كان مكلفا بمهمة احضارهم الى القسطنطينية ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 87, 211.

ويذكر ليو خويروسفاكتس نفسه فى رسالته رقم (٢٣) أنه أحضر معه مندوبين عن كنيستى انطاكية وبيت المقدس دون الاشارة الى الاسكندرية ، انظر :

Kolias, **Léon Choerosphactès**, p. 113.

وجدير بالذكر أن كرسى بطريركية الاسكندرية كان شاغرا فى ذلك الوقت . وكان سمعان الأول على رأس بطريركية انطاكية حتى سنة ٩٠٧م ، وتلاه الياس الأول Elias I حتى سنة ٩٣٤م . أما بطريركية بيت المقدس فكان على رأسها الياس الثالث Elias III (٨٧٨ - ٩٠٧م) ، ثم تلاه سرجيوس الثانى (٩٠٧ - ٩١١م) ، انظر :

Grumel, **La Chronologie**, pp. 443, 447, 452.

كذلك علم الامبراطور بالرد الايجابى للبابا سرجيوس الثالث Sergius III (٩٠٤ - ٩١١م) من رسالة وصلته عن السكرتير الامبراطورى سيميون ، الذى كتب للامبراطور من اوترانتو Otranto بايطاليا ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 87, 211.

وللمزيد عن هذا السكرتير الامبراطورى ، انظر :

Theoph. Cont., p. 368; **Sym. Mag.**, p. 707; **G. Mon. Cont.**, p. 863; Browning, **Correspondence**, p. 431.

١١ - **Vita Euthymii**, pp. 87, 212; **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, p. 224; Oikonomidès, **Dernière Volonté**, p. 46.

١٢ - ذكر نيقولا مستيكوس فى رسالته الى البابا اناستاسيوس الثالث ، ان الامبراطور منع اتصاله بمندوبى البابوية ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, p. 224.

وقارن أيضا :

Vita Euthymii, pp. 197-199; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 62.

١٣ - **Vita Euthymii**, pp. 87-89; **Theoph. Cont.**, p. 371; **Sym. Mag.**, p. 709; **G. Mon. Cont.**, p. 865; **Leo Gramm.**, pp. 279-280; **Scylitzes**, p. 185; **Guilland, Les Noces, p. 17.**

وللمزيد عن ضاحية هيريا ودير جالاكرنس Galacrenes انظر :

Janin, **Constantinople**, pp. 453-454; Janin, **Hiéria**, pp. 50-58.

١٤ – **Vita Euthymii**, p. 89.

١٥ – **Vita Euthymii**, p. 89-91.

١٦ – **Vita Euthymii**, pp. 91, 212.

١٧ –

Vita Euthymii, pp. 93, 214; Grumel, **Les Regestes,** no. 612, p. 141.

١٨ – **Vita Euthymii**, pp. 93, 214.

١٩ – **Vita Euthymii**, p. 93; Grumel, **Les Regestes,** no. 612, p. 141.

٢٠ – **Vita Euthymii**, p. 93; Grumel, **Les Regestes**, no. 613 p. 141.

٢١ – تختلف المصادر البيزنطية فى بيان أسباب عصيان القائد اندرونيكوس دوقاس وأبعاد تمرده ٠ فسيرة ايثيميوس ، التى تتخذ موقفا معاديا منه ومن نيقولا مستيكوس ، تصور عصيانه فى شكل ثورة استهدفت الاطاحة بالامبراطور واغتصاب العرش وتورطت فيها عدة شخصيات من بينها البطريرك ، كما تشير بوضوح الى لجوء الثائر الى بغداد قبل عزل نيقولا مستيكوس ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 69, 71, 73, 77, 190-191.

أما الحوليات البيزنطية التى استقت مادتها من حولية سيميون اللغثيث ، فتميل الى تمجيد أسرة دوقاس **Doukai** والدفاع عن اندرونيكوس وتقدم رواية موجزة ومضطربة مؤداها أن القائد الكبير وقع ضحية دسائس ساموناس ، وعندما أدرك ذلك كان الوقت قد تأخر فاضطر الى الاعتصام فى حصن كافالا **Cavala** ٠ كما تشير بوضوح الى لجوء الثائر الى بغداد بعد أن علم بعزل البطريرك نيقولا مستيكوس انظر :

Theoph. Cont., pp. 371-373, 374; **Sym. Mag.**, pp. 710-711; **G. Mon. Cont.,** pp. 867-868; **Leo Gramm.**, **pp**. 280-281; **Scylitzes**, p. 187.

٢٢ – Jenkins, **Flight of Samonas**, pp. 219, 223-224.

وتجدر الاشارة الى أن أسرة دوقاس احتلت مكانة رفعية فى نفوس البيزنطيين ، ويظهر هذا بوضوح فى الأدب البيزنطى ٠ وكان بطل ملاحم القتال فى منطقة الحدود البيزنطية الاسلامية ديجن اكريتس **Digenis Akrites** يمت بصلة قرابة لهذه الأسرة ، اذ كانت

أمه ابنة القائد اندرونيكوس دوقاس، انظــر :

Mavrogordato, **Digenes Akrites,** p. 6 and introd. pp. xxx-xxxi.

ويروى المؤرخ البيزنطى ميخائيــل بسللوس أنه فى أيامه (النصف الثــانى من القرن الحادى عشر الميــلادى) كان اسم أسرة دوقاس يتردد بالمديح فى الأغانى الشعبية ، كمــا كان اســم اندرونيكوس دوقاس وابنه قسطنطين على كل لسان، انظر :

Psellos, **Chronographie,** II, p. 140.

وللمزيد عن أسرة دوقاس ومكانتها فى المجتمع البيزنطى ، انظر :

Polemis, **The Doukai,** pp. 1-15.

٢٣ ـ وربما حاول المتــآمرون الحصــول على دعم بحرى من السلطات الاســلامية فى ثغر طرســوس ، ففى هذا تفسير لخط سير الحملة البحــرية الاســلامية التى قادها ليــو الطرابلسى **Leo of Tripoli** فى يوليــو سنة ٩٠٤م ، والتى انتهت باقتحــام مدينــة ســالونيكا **Thessaloniki** ثانى أكبر المدن البيزنطية ، انظر :

Jenkins, **Flight of Samonas,** pp. 223-231.

٢٤ ـ يشير الطبرى الى اغارة قام بها اندرونيكوس دوقاس على مرعش ونواحيها فى خريف سنة ٩٠٤م/٢٩٢هـ ، انظر :

الطبرى : **تاريخ الرسل والملوك** ، جـ ١٠ ، ص ١١٨ .

وربما كانت هذه الاغارة انتقاما من الحملة الاسلامية ضد سالونيكا فى صيف نفس العام ، انظر :

Vasiliev, **Byzance et les Arabes,** II/1, p. 181; Canard, **Deux Episodes,** p. 56.

ويبدو أن اندرونيكوس استمر فى عملياته العسكرية فى نفس المنطقة فى العام التالى سنة ٩٠٥م .
انظــر :

Polemis, **The Doukai,** pp. 17-18.

٢٥ ـ للمزيد عن العــداء بين سامونلس واندرونيكوس دوقاس وعصيان الأخير لأوامر الامبراطور ، انظر :

Theoph. Cont., pp. 369, 371-372; **Sym. Mag.**, pp. 708, 710; **G. Mon. Cont.**, pp. 863-864; Karlin-Hayter, **Andronicus Ducas**, p. 24; Vasiliev, **Byzance et les Arabes,** II/1, pp. 184-187.

وعن موقع حصن كافالا (Kavalla) Cavala ، انظر :

Polemis, **The Doukai**, p. 18, n. 7; Ramsay, **Historical Geography,** p. 359.

٢٦ – **Vita Euthymii**, p. 69.

٢٧ – انظر حاشية رقم (٢١) . وانظر إيضا :

الطبرى : **تاريخ الرسل والملوك** ، جـ ١٠ ، ص ١٣٤ – ١٣٥ ، ١٣٦ ، المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) : **التنبيه والاشراف** ، نشر لجنة تحقيق التراث ، (دار الهلال ، بيروت ١٩٨١) ، ص ١٦٤ .

وانظر كذلك :

Canard, **Deux Épisodes**, pp. 56-57; Vasiliev, **Byzance et les Arabes**, II/1, pp. 187-188; Karlin-Hayter, **Andronicus Ducas**, p. 24.

٢٨ – **Vita Euthymii**, pp. 69-71; Grumel, **Les Regestes**, no. 601, p. 136; Vasiliev, **Byzance et les Arabes**, II/1, p. 189.

٢٩ – Popov, **Imperator Leo VI**, pp. 101-102.

٣٠ – Polemis, **The Doukai**, p. 19.

٣١ – Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 347.

٣٢ – ولد ايثيميوس حوالى سنة ٨٣٢م فى سلوقية Seleucia باقليم ايسوريا Isauria بجنوب شرق آسيا الصغرى ، وكان يمت بصلة قرابة للقديس جريجورى ديكابوليت Gregory Decapolite . بدأ حياته راهبا فى أحد أديرة بيثينيا (جبل الاوليمب M. Olympos) ثم عرف طريقه الى العاصمة . ولقد جذبت تقواه وفضائله الامبراطور ليو السادس فعينه فى منصب Syncellos أى مساعدا ومستشارا لأخيه البطويرك ستفن Stephen فى عام ٨٨٨/٨٨٩م ، ثم أصبح أب الاعتراف لليو السادس . وشيد له الامبراطور دير بساماثيا

Psamathia الذى يقـع بالقـرب من دير سـتوديو Studios فى القسطنطينية ، انظر مقدمة سيرة ايثيميوس :

Vita Euthymii, p. 31, n. 2.

وانظر أيضا :

Jugie, **Vie d'Euthyme**, pp. 385-395.

وعن منصب Syncellos ، انظر أيضا :

Bury, **Admin. System**, pp. 116-117.

وكانت فضائل ايثيميوس موضوع المرثية التى ألقاها ارثاس فى حفل تأبينه فى دير بساماثيا ، انظر نص هذه المرثية Epitaphios فى :

Arethas, **Scripta Minora**, I, pp. 83-93.

ويبدو أن ايثيميوس تمتع باحترام كبـير لأن الحوليات البيزنطية تمتدح فضائله أيضا ، انظر :

Theoph. Cont., p. 371; **Sym. Mag.**, p. 709; **G. Mon. Cont.**, pp. 865-866; **Scylitzes**, p. 185; **Zonaras**, III, p. 449.

٣٣ – **Vita Euthymii**, pp. 95-97.

٣٤ – **Vita Euthymii**, p. 97.

٣٥ – انظر الفصل الثالث ، حاشية (١٤) .

٣٦ – **Vita Euthymii**, p. 99.

٣٧ – يلاحظ أن هناك جماعة صغيرة من الأساقفة ظلت ترفض التسـامح كمـا سيتضح بعد ذلك . وعلى هذا فالموافقة لم تكن بالاجمـاع . للمزيد عن مضمون هذه الاستقالة ، انظر :

Vita Euthymii, p. 99; Grumel, **Les Regestes**, no. 614, pp. 141-142.

٣٨ – **Vita Euthymii**, p. 101.

يلاحظ أن الاشارة الى وصول مبعوث بطريركية الاسكندرية واضحة فى رواية صاحب سيرة ايثيميوس ، قارن حاشية رقم (١٠) . أما بالنسبة لتوقيت وصول مبعوثى البابوية ، فتختلف رواية نيقـولا مستيكوس عن رواية صاحب السيرة . فالأول يذكر أنهم وصلوا قبل عيـد القـديس تريفـون **St. Tryphon** (الذى يوافق ١ فبراير ٩٠٧م) ، بينما يذكر الثـانى أنهم كانوا فى طريقهم الى العاصمة

البيزنطية فى ذلك اليوم ، أى أنهم وصلوا بعــد نفى نيقولا وليس قبله • ورغم ذلك تتفق الروايتــان على حقيقة أن نيقــولا لم يلتق بهم • قارن بين :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, p. 224;

Vita Euthymii, pp. 85-87.

٣٩ — **Vita Euthymii**, pp. 101-103; Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 85-86.

٤٠ — لم تصلنا للأسف نصــوص قرارات هذا المجمع • وتعتقــد الأستاذة كارلين هيتر أن المجمع انعقــد فى مارس سنة ٩٠٧م ، وأن نيقــولا مستيكوس قام بعد استرداده عرش البطريركية سنة ٩١٢م بازالة كل أثر لقراراته ، انظر :

Karlin-Hayter, **Syndoe**, pp. 68-69.

ومن المرجح انعقــاد هذا المجمــع فى أواخر فبراير عــلى أســاس التسلسل الزمنى للأحداث كما وردت فى سيرة ايثيميوس • ويميل الأستاذ جرومل الى الاعتقاد أن ايثيميوس اعتلى عرش البطريركية فى فبراير سنة ٩٠٧م ، انظر :

Grumel, **La Chronologie**, p. 436.

٤١ — **Vita Euthymii**, pp. 101, 139-141; Arethas, **Scripta Minora, I**, p. 86; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 69; Grégoire, **Macedonians**, p. 132.

٤٢ — Popov, **Imperator Leo VI**, pp. 164-165.

وأيد الأستاذ جنكنز هذا التفسير ، انظر :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 342-343.

٤٣ — Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 90-92; Dvornik, **Photian Schism**, pp. 275-277.

٤٤ — **Vita Euthymii**, pp. 73, 85-87, 99, 101, 139-141.

وقارن أيضا :

Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 345.

٤٥ — انظــر ما سبق ذكره بالنسبة لموقف كنيسة روما من مســألة تكرار الزواج ، وقارن الفصل الأول ، حاشية (٣٣) •

٤٦ ـ Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, p. 346.

٤٧ ـ أشار نيقولا مستيكوس فى رسائله الى ألوان الاضطهاد التى تعرض لهـا هو وأنصـاره ، انظـر مثـلا رسـالته رقم (٣٢) الى البـابا أفاستاسيوس الثالث ، ورسالته رقم (١٣٢) الى جريجورى أسقف افسوس Gregory of Ephesus وفوتيـوس اسـقف هرقلة Photios of Heraclea فى المنفى ، فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. 32, 132, pp. 224, 430.

أما نيكتاس البافلاجونى فكان نصيبه من الاضطهاد كبـيرا ، وقد تدخل البطريرك ايثيميوس بنفسه لانقاذه من غضب الامبراطور . للمزيد عن اضطهاد نيكتاس ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 105-109, 217-220.

٤٨ ـ **Vita Euthymii**, p. 103; Karlin-Hayter, **Texts**, pp. 364, 386-388; Kougeas, **Kaisareias Arethas**, p. 75.

٤٩ ـ **Vita Euthymii**, pp. 103-105; Karlin-Hayter, **New Arethas Texts**, p. 275; Jenkins, **Imperial Centuries**, pp. 224-225.

٥٠ ـ **Vita Euthymii**, p. 103.

٥١ ـ Karlin-Hayter, **Arethas Documents V**, p. 49; Jenkins and Laourdas, **Letters of Arethas**, pp. 345-346, 350-351.

ويلاحظ أن ارثاس حاول فى رسالة بعثها الى نيكتاس البافلاجونى اخفاء ارتياحه لسقوط نيقولا مستيكوس انظر :

Karlin-Hayter, **Texts**, pp. 382-388.

كمـا عبر ارثاس للامبراطور عن سعادته باعتـلاء ايثيميوس عرش البطريركية ، انظر :

Vita Euthymii, p. 105.

٥٢ ـ كان ارثاس فى حاجة الى تبرير تبدل موقفه ونبذه للمعارضة . ومن بين كتاباته نصان يتضمنان دفاعه عن نفسه ومبررات موافقته فى آخر الأمر على التسامح فى زواج الامبراطور . وتعتقد الاستاذة كارلين

هيتر ان النص الأول عبارة عن مسودة للنص الثانى الذى ألقاه ارثاس فى اجتماع المجمع الكنسى لبطريركية القسطنطينية وفى حضور ايثيميوس يوم ٨ من نوفمبر سنة ٩٠٨م ، انظر هذين النصين فى :

Karlin-Hayter, **New Arethas Texts**, pp. 275, 279-307.

ولقد نشرت الأستاذة كارلين هيتر مجموعة نصوص أخرى لارثاس من بينها تفسير وتعليق على أحكام القديس باسيل فى حالات تكرار الزواج ، وفيها حاول ارثاس تفسير قوانين الكنيسة بصورة تتفق مع موقفه الجديد من التسامح فى زواج الامبراطور ، انظر نص هذا التفسير لأحكام القديس باسيل فى :

Karlin-Hayter, **Arethas Documents V**, pp. 59-67.

٥٣ ـ **VitaEuthymii**, pp. 109-113, 135; Grumel, **Les Regestes**, nos. 627, 628, p. 147.

٥٤ ـ **Vita Euthymii**, p. 109; Grumel, **Les Regestes**, no. 626 pp. 146- 147.

٥٥ ـ **Vita Euthymii**, p. 111.

٥٦ ـ **Theoph. Cont.**, p. 375; **Sym. Mag.**, pp. 711-712; **G. Mon. Cont.**, p. 868.

وجدير بالذكر أن سيرة ايثيميوس لا تشير الى قيام البطريرك بتتويج قسطنطين السابع كما أشارت الحوليات سابقة الذكر ، ولكنها تشير بشكل عارض الى قسطنطين المتوج ٠ وربما كان وصف احتفال تتويج قسطنطين يدخل ضمن الجزء المفقود من سيرة ايثيميوس ، انظر :

Vita Euthymii, p. 111, 113, 223.

وكان الاعتقاد فى السابق أن تتويج قسطنطين جرى فى ٩ من يونيو سنة ٩١١م ، ولكن دراسة الأستاذين جريرسون ، وجنكنز المشتركة صححت هذا التاريخ وأثبتت ان التتويج حدث يوم ١٥ من مايو سنة ٩٠٨م ، انظر :

Grierson and Jenkins, Coronation, p. 137.

الفصل الخامس

عزل ايثيميوس واسترداد نيقولا مستيكوس
عرش البطريركيـة

استمر ايثيميوس على رأس الكنيسة البيزنطية طــوال السنوات المتبقية من عمر ليــو السادس ، ثم تبدل الحال فى سنة ٩١٢م وعاد نيقولا ليعتلى عرش البطريركية مرة أخـــرى بعد أن أمضى فى المنفى حول خمس سنوات • ففى الحـــادى عشر من مايو سنة ٩١٢م توفى الامبراطور ليو السادس وخلفه على العرش أخـــوه الاصغر اسكندر Alexander (٩١٢ — ٩١٣م) الى جانب قسطنطين السابع الذى كان طفلا فى السابعة من عمره[١] • وقبل وفاته أوصى ليو السادس أعضاء السناتو بزوجته وطفله ، كما ناشد أخاه اسكندر أن يحمى الطفل الصغير ويرعاه[٢] • وتختلف المصادر فى تحديد الامبراطور الذى قام باستدعاء نيقولا من منفاه ورد عرش البطريركية اليه • فنيقولا مستيكوس يذكر فى رسالته الى البـــابا آناستاسيوس الثـــالث Anastasius III أن الامبراطور التائب ليو السادس قام قبيل وفاته باستدعائه من المنفى ليسترد مكانته على رأس الكنيسة البيزنطية[٣] • كمـــا تؤكد الوثيقة المعروفة «بالوصية الاخيرة» المنسوبة الى ليو السادس على مشاعر الندم التى اجتاحت الامبراطور فى أيامه الاخيرة وأمله فى الحصول على عفو وعطف نيقولا الذى استعاد الآن مكانته فى الكنيسة البيزنطية[٤] • أما الحوليات البيزنطية فانها تنسب قرار استدعاء نيقولا من منفاه ورد عرش البطريركية اليه الى الامبراطور اسكندر ، وتعتبر هذا القرار أول قرارات الامبراطور الجديد[٥] • أما سـيرة ايثيميوس فيلاحظ أنها لاتفيدنا فى هذه المسألة لان هذا الحدث يدخل غالبـــا ضمن الصفحات المفقودة من هذا المصدر الهام •

ورغم اختلاف المصادر يمكن القول أن قيام الامبراطور المحتضر ليو السادس باصدار أمر استدعاء نيقولا من منفاه أمر وارد • فالمعروف

أن ليو السادس كانت تتملكه مشاعر دينية قوية رغم خطاياه الدنيوية. والآن وهو يحتضر ، ربما أراد تحرير ضميره من عذاب شديد ، فقـــام باستدعاء البطريرك الذى أصدر ضده قرار الحرمان ورد له اعتباره • لقد كان اسكندر وقت احتضار ليو هـــو المتصرف الحقيقى فى شئون الحكم ، ومن المرجح قيامه بتنفيذ استدعاء نيقولا فأصبح بذلك مشاركا فى الامر • وجـــدير بالذكر أن بعض المؤرخـــين الحـــديثين يرى أن استدعاء نيقولا من المنفى ورد اعتباره بأمر ليو السادس لم يصاحبه العزل الفورى لايثيميوس ، وأن فترة مرض واحتضار ليو السادس، التى امتدت من أوائل مارس وحتى ١٢ من مايو سنة ٩١٢م ، قد شهدت وجـــود بطريركين فى نفس الوقت • فايثيميوس كان البطريرك اسميا بينما كان نيقـــولا مستيكوس يتولى فعليـــا ادارة شئون الكنيســـة البيزنطية(٦) •

على أية حـــال ، عندما رفض ايثيميوس التنحى عن منصبه ، دعا الامبراطور اسكندر الى عقد مجمع دينى محدود فى يونيو سنة ٩١٢م فى القصر الامبراطورى حضره عدد من رجال الكنيسة المعارضين للزواج الرابع والاساقفة الذين تخلوا عن ايثيميوس ، كما حضره بعض أعضاء مجلس السناتو • وترأس الامبراطور اسكندر ونيقولا مستيكوس هذا المجمع الذى خصص لمحاكمة ايثيميوس بتهمة الزواج من الكنيسة بصورة غير شرعية لاعتلائه عرش البطريركية بينما البطريرك الاصلى لا يزال على قيد الحياة • وتقدم المصادر البيزنطية وصفا مثيرا لهذه المحاكمة التى تعرض فيها البطريرك المسن للمهانة والاذى•ورغم دفاع ايثيميوس عن نفسه صدر الحكم بادانته فتم تجريده من ردائه الكنسى وشاراته الرسمية ونفيه الى دير القديس اجاثوس St. Agathos (٧) •

باسترداد نيقولا مستيكوس منصبه الرسمى على رأس بطريركية القسطنطينية بدأت حركة تطهير فى الكنيسة البيزنطية راح ضحيتها عدد

من أنصار البطريرك السابق • ورغم اشارة المصادر الى قيام نيقولا بعزل عدد كبير من القساوسة وصغار رجال الدين[٨] ، فان عدد المعزولين من كبار رجال الدين اقتصر على أربعـــة أو خمسة من الاساقفة بينما تمسك الاخرون بكراسيهم الاسقفية ورفضـــوا الاستقالة فى معارضة صريحة لنيقولا مستيكوس[٩] • وكان على رأس المعارضة ارثاس أسقف قيصرية المعروف الذى ربما كان يتطلع لخـــلافة ايثيميوس على عرش البطريركية[١٠] • حاول نيقولا مستيكوس عزل ارثاس وغيره من أقطاب المعارضة ، الا أن أسقف قيصرية رفض الاعتراف بسلطانه وتحداه أن يستصدر مرسوما امبراطوريا بعزله ، فاضطر نيقولا الى التراجع بعد أن باءت محاولاته بالفشل[١١] •

هكذا بدأ فصل جديد من فصـــول الانشقاق فى الكنيسة البيزنطية اتسم بالجدل العنيف وتبادل الاتهامات ومحاولة كل طرف تبرير مواقفه وتفسير قراراته • ويكفى أن نطالع الرسائل التى كتبها نيقولا مستيكوس بعد سنة ٩١٢م ورد ارثاس على ما جاء فى بعضها لتتضح لنا أبعاد هذا الانشقاق • ويلاحظ أن زواج الامبراطور ليو السادس لم يعد موضوع الجدل المباشر بين التيارات الكنسية المتنافسة ، كما كان عليه الحال قبل سنة ٩٠٧م ، بل أصبح الخلاف يدور حول مشروعية استرداد نيقـــولا عـــرش الكنيسة البيزنطية بعد أن تخـــلى عنه باستقالته من منصب البطريركية • ولقد حاول نيقولا فى رسالته الهامة التى وجهها الى أساقفة المعارضة تفسير ظروف تنحيه عن عرش البطريركية وتبرير استقالته مؤكدا أنه احتفظ بمركزه كأسقف ولم يتخل عنه • وحفلت هذه الرسالة بعبارات اللوم والتوبيخ لاولئك الاساقفة الذين بدلوا مواقعهم وانقلبوا الى أعداء وجلبوا الانقسام الى الكنيسة[١٢] • أما ارثاس فقد كتب ردا ساخرا حـــاول فيه تفنيد مزاعم نيقولا فبين أن استقالته من منصب البطريركية صحيحة ولا ينبغى التقليل من قيمتها كما لا يجوز التراجع عنها • وشبه تخلى نيقولا عن الكنيسة بتخلى الراعى عن قطيعه وتركه

للذئاب[١٣] • ورفض ارثاس وانصاره الاعتراف ببطريركيته الجديدة كما رفضوا الاشتراك معه فى أى قداس دينى[١٤] • واذا كان الجدل قد تطرق الى مشروعية الزواج الرابع من حيث المبدأ ، فان موقف نيقولا مستيكوس المعارض كان متفقا مع المفهوم التقليدى للكنيسة البيزنطية، بينما افتقر ارثاس الى المصداقية وهو يحاول تفسير القوانين الكنسية بصورة تتفق مع التبدل الذى طرأ على موقفه من الزواج الرابع[١٥] •

حواشى الفصـــل الخامس

١ - Grumel, **Régne de Léon VI**, p. 8; Grumel, **La Chronologie**, p. 357.

٢ - **Theoph. Cont.**, p. 377; **Sym. Mag.**, p. 715; **G. Mon. Cont.** p. 871; **Leo Gramm.**, p. 285; **Scylitzes**, p. 192.

وتتضمن مخطوطة سكليتزس المحفوظة فى جامعة مدريد ، أبيـاتا شعرية تصور لحظات احتضار ليو السادس وكلماته الأخيرة لأخيه اسكندر ، انظر :

Sevcenko, **Poems**, p. 196.

٣ - **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 32, p. 242; Grumel, **Les Regestes, no.** 635, p. 151.

ومن بين المؤرخين الحديثين المؤيدين لهذا الرأى كل من جنكنز ، وفازيليف ، انظر :

Jenkins, **Letter to the Emir**, p. 400; Vasiliev, **Byzantine Empire**, I, pp. 333-334.

٤ - Oikonomidès, **Dernière Volonté**, pp. 48, 50.

ويعتقد الأستاذ أيكونوميدس ان الوثيقة صحيحة ، وانها كتبت اثناء وجود نيقولا فى المنفى ، ثم قام الامبراطور اسكندر بتنفيذها بعد جنازة ليو السادس . عن صحة هذه الوثيقة ، انظر :

Oikonomidès, Préhistoire de la dernière Volonté, p. 270.

أما الأستاذة كارلين هيتر فانها تثير الشكوك فى اصالة هذه الوثيقة ، وتعتقـد أنها كتبت سنة ٩٠٧م ثم ذاعت فى سنة ٩١٢م ، انظـر :

Karlin-Hayter, **Préhistoire**, pp. 483-486.

٥ - **Theoph. Cont.**, pp. 377-378; **Sym. Mag.**, pp. 715-716; **G. Mon. Cont.**, p. 871; **Leo Gramm.**, pp. 285-286; **Scylitzes**, p. 193; **Zonaras, III**, pp. 455-456.

ويؤيد هذا الرأى عـدد آخـر من المؤرخين الحـديثين من بينهـم رانسيمان ، وكارلين هيتر ، واستروجورسكى ، انظر :

Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 45-46; Karlin-Hayter, **Synode**, pp. 70, 98; Ostrogorsky, **State** p. 261, n. 2.

٦ ـ Jenkins, **Letter to the Emir,** p. 401; Jenkins, **Chronological Accuracy**, p. 111. Cf. Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 227; Hergenröther, **Photius**, III, pp. 667-668.

ويبدو أن هناك سابقة لذلك وقعت قبل خمس وثلاثين عاما . فعندما استدعى باسيل الأول فوتيوس من منفاه ، زاول الأخير صلاحيات البطـريرك الفعلية لبضعة أشهر قبل وفاة اجناتيوس البطـريرك الرسمى سنة ٨٧٧م ، انظر :

Dvornik, **Photian Schism**, pp. 167-168, 172.

٧ ـ **Theoph. Cont.**, pp. 377-378; **Sym. Mag.**, p. 716; **G. Mon. Cont.**, p. 871; **Leo Gramm.**, p. 286.

وانظر الوصف التفصيلى للمحاكمة فى :

Vita Euthymii, pp. 119-123.

وانظر أيضا :

Grumel, **Les Regestes**, no. 630, p. 148; Popov, **Imperator Leo VI**, p. 171; Karlin-Hayter, **Synode**, p. 71; Karlin-Hayter, **Alexander's Bad Name**, p. 588.

ويقـع دير القديس اجاثوس St. Agathos فى ضـواحى القسطنطينية على مضيق البسفور ، انظر :

Janin, **Constantinople**. p. 439.

٨ ـ **Vita Euthymii**, p. 129; Karlin-Hayter, **Vita S. Euthymii**, p. 762.

٩ ـ تشـير سـيرة ايثيميوس الى اضطهاد ونفى أربعـة أسـاقفة هم ديمتريوس **Demetrios** أسقف هرقلة **Heraclea** وجريجـورى **Gregory** أسقف نيقوميديا **Nicomidia** ، وجابريل **Gabriel** أسقف أنقرة **Ancyra** ، وهيلاريون **Hilarion** أسقف هيرا **Hierapolis**

أما بطرس أسقف ساردیس **Sardis** فقد هرب ، ولم يعثر عليه ، انظر :

Vita Euthymii, pp. 115-117, 223-225.

كذلك يشير نيقـولا مستيكوس فى رسـالته الى نيكتاس **Nicetas** أسقف أثينا (حوالى سنة ٩١٤م) الى عزل أربعة أسـاقفة فقط ، انظر :

Jenkins, **Tetragamy**, p. 237, n. 26. cf. Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 229.

١٠ – Popov, **Imperator Leo VI**, p. 160, n. 1.

١١ – **Vita Euthymii**, pp. 127, 227.

وربما يرجع فشل نيقولا فى عزل ارثاس الى علاقة الأخير الوطيدة بالامبراطور اسكندر فى ذلك الوقت ، انظر :

Kougeas, **Kaisareias Arethas**, p. 12.

١٢ – انظر النص الكامل لرسالة نيقولا مستيكوس الى أساقفة المعارضة – التى نشرت أول مرة سنة ١٩٠٩م مع ست رسائل أخرى لارثاس – فى :

Papadopoulos-Kerameus, A., "Varia Graeca Sacra", **Zapiski**, 95 (1909). pp. 254-259.

كما قامت الأستاذة كارلين هيتر باعادة نشرها وأفردت لهـا ترجمة انجليزية كملحق لسيرة ايثيميوس ، انظر :

Karlin-Hayter, **Vita S. Euthymii**, pp. 748-756.

وانظر كذلك نص الرسالة رقم (٤٩) التى بعثها نيقولا أيضا لأساقفة المعارضة فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople, Ep. 49, pp. 276-278.

١٣ – انظر النص الكامل لرد ارثاس الذى نشرته الأستاذة كارلين هيتر أيضا كملحق لسيرة ايثيميوس ، فى :

Karlin-Hayter, **Vita S. Euthymii**, pp. 756-770.

وتتكرر الاشارة الى تخلى نيقولا مستيكوس عن الكنيسة فى كتابات

أرثاس الأخرى ، انظر :

Arethas, **Scripta Minora**, I, p. 86.

١٤ - **Vita Euthymii,** p. 127.

١٥ - Karlin-Hayter, **Arethas Documents III,** pp. 117-127;

Karlin Hayter, **Arethas Documents IV**, pp. 387-487;

Karlin Hayter, **Arethas Documents V**, pp. 49-67.

وانظر أيضا الفصل الرابع ، حاشية (٥٢) .

الفصل السادس

نيقولا مستيكوس والوصـاية على قسطنطين السابع

عاشت الامبراطورية البيزنطية بعد وفاة ليو السادس فترة اضطراب وفتن كانت فى جملتها نتائج ترتبت بشكل مباشر أو غير مباشر على زواجه الرابع • واذا كان اسكندر قد خلف أخاه على العرش ، الا أنه انصرف الى أهوائه وحرص على نقض سياسات سلفه وأضمر الشر لابن أخيه الطفل[1] • ولم ينقذ الطفل الصغير من الهلاك على يد عمه سوى وفاة الاخير فى ٦ من يونيو سنة ٩١٣م بعد حكم قصير مضطرب فى الداخل والخارج لم يدم أكثر من ثلاثة عشر شهرا ، تاركا قسطنطين السابع فى الثامنة من عمره وسط تيارات تتصارع من أجل الوصاية عليه واغتصاب العرش منه[2] • ولم يقتصر الامر على ذلك اذ قامت بلغاريا باستغلال الموقف لتحقيق طموح قيصرها سيميون Symeon فهددت بيزنطة تهديدا خطيرا • وفى هذا الجو الصاخب الملىء بالفتن فى الداخل والاخطار من الخارج لعب نيقولا مستيكوس دورا بارزا •

قام الامبراطور اسكندر وهو على فراش الموت بتشكيل مجلس وصاية على الامبراطور القاصر قسطنطين السابع يتولى ادارة شئون الدولة • وتشكل المجلس من خليط غير متجانس اذ ضم البطريرك نيقولا مستيكوس ، واثنين من الاعيان من أبناء الطبقة العليا ، وأربعة من حاشية أتباع الامبراطور المحتضر — التى غلب عليها اللهو والمجون — كانوا من أصول اجتماعية متواضعة ولم يسبق لهم شغل أية مناصب حكومية[3] • وبفضل مركز نيقولا مستيكوس وشخصيته وشعبيته نجح فى السيطرة على مجلس الوصاية ، بل أصبح الوصى الحقيقى على قسطنطين السابع الذى فجر مولده الشقاق فى الكنيسة البيزنطية[4] • ويبدو أن نيقولا مستيكوس قبل تشكيل مجلس الوصاية ، قد خشى أن يقوم أحد الطامعين فى التاج باغتصاب العرش من الامبراطور القاصر،

فبدأ بمراسلة قسطنطين دوقاس — ابن القائد المعروف اندرونيكوس دوقاس — وكان يشغل منصب القائد العام للجيش البيزنطى فى آسيا الصغرى ، ودعاه لدخول العاصمة واعتلاء العرش[٥] • وكان نيقولا يميل لاسرة دوقاس ، وربما فضل أن يرى قسطنطين دوقاس امبراطورا مشاركا للامبراطور القاصر أكثر ن أى شخص آخر[٦] ، لما فى ذلك من ضمان لاستمراره فى شغل منصب بطريرك القسطنطينية وتأمين لمركزه فى مواجهة معارضيه فى الكنيسة من أنصار البطريرك السابق ، فضلا عن أعداءه فى القصر وعلى رأسهم الامبراطورة الام زوى كاربونوبسينا • ولكن تشكيل مجلس الوصاية برئاسته جعله يندم بعد ذلك على دعوته القائد دوقاس ، فما كان ليرضى وهو على رأس الدولة بوجود منازع له فى السلطة • على أية حال ، استجاب قسطنطين دوقاس للدعوة بعـــد تردد قصير ، وتقدم بجزء من جيشه ونجح فى دخول العاصمة فى اليوم الثالث لمراسم الحداد على وفاة الامبراطور اسكندر ليجد الوضع قد اختلف تماما[٧] • ولم يكن فى امكان القائد الكبير أن يتراجع فتوجه بجنوده الى ساحة الهيبودروم Hippodrome حيث تطور الامر الى قيام أنصاره وجنوده باعلانه امبراطورا • وعلى الفور أصدر مجلس الوصاية الاوامر للحرس الامبراطورى بالتصدى للقائد الثائر ،فأجهضت المحاولة وقتل قسطنطين دوقاس وابنه أمام البوابة البرونزية للقصر الامبراطورى كما قتل عدد كبير من رجاله[٨] • وهـــكذا فشلت ثانى محاولات أسرة دوقاس لاغتصاب العرش من الاسرة المقدونية ، وفى كلتا المحاولتين تورط نيقولا مستيكوس بشكل أو بآخر •

كانت المشكلة التالية التى واجهت نيقولا مستيكوس بعد أن قبض على زمام الحكومة البيزنطية هى الامبراطورة الأم زوى كاربونوبسينا وكانت زوى قد عادت الى القصر لزيارة الامبراطور المحتضر اسكندر ، وبعد وفاته أقامت بجـــوار ابنها القاصر وحـــاولت استرداد نفوذها

والتدخل فى شئون الحكم • فقام البطريرك بابعادها عن القصر ثم نفاها الى أحد الاديرة[٩] •

لكن الخطر الجسيم الذى هدد أمن الدولة البيزنطية فى هذه المرحلة جاء من جانب دولة بلغاريا التى كانت ترقب عن كثب اضطراب الاحوال فى بيزنطة • وعندما رفض الامبراطور الراحـــل اسكندر دفع الجزية المقررة للبلغار طبقا للاتفاقية المبرمة سنة ٨٩٧م ، التى انهت جـــولة سابقة من المواجهة الحربية بين الدولتين ، أعلن القيصر سيميون الحرب من جديد وتقدم تجاه القسطنطينية وألقى عليها الحصار فى أغسطس سنة ٩١٣م[١٠] • ولم يعبأ سيميون بحتجاجات وتوسلات البطريرك نيقولا مستيكوس ، فقد كانت تحدوه أحـــلام الاستيلاء على العاصمة البيزنطية كى يصبح امبراطور البلغار والرومان[١١] • وأمام هذا التهديد الخطير وعجز الحكومة البيزنطية عن مواجهته عسكريا ، اضطر مجلس الوصاية برئاسة نيقولا الى الاذعان والدخـــول مع العاهل البلغارى فى مفاوضات • وقضت التسوية التى تم التوصل اليها الموافقة على تتويج سيميون امبراطورا ، بمعنى تتويجـــه امبراطورا على بلغاريا وليس امبراطورا مشاركا لقسطنطين السابع[١٢] • كما تم الاتفاق على أن تصبح احدى بنات القيصر البلغارى زوجة للامبراطور القاصر قسطنطين السابع فى المستقبل[١٣] • ولقد أرضت هذه التسوية طموح القيصر سيميون مؤقتا ، فرفع الحصار عن القسطنطينية وانسحب عائدا الى بلغاريا فى سبتمبر سنة ٩١٣م[١٤] •

لم ينعم البطريرك نيقولا مستيكوس بالحكم طويلا ، فبعد ثمانية أشهر من توليه رئاسة مجلس الوصاية وادارة شئون الدولة ، تم عزله من الوصـــاية على قسطنطين الســـابع على اثر انقـــلاب فى القصر الامبراطورى فى فبراير سنة ٩١٤م[١٥] • ويبدو أن حكومة نيقولا كانت قد بدأت تفقد شعبيتها ، ربما بسبب الافراط فى التنازلات التى قدمتها

لقيصر بلغاريا ، فضلا عن القسوة التى صاحبت اخماد ثورة قسطنطين دوقاس • كذلك اثار تفرد نيقولا بالسلطة كراهية بعض الاعضاء البارزين فى مجلس الوصاية وخاصة يوحنا الادس Ioannes Elades [١٦] • وكانت الامبراطورة الأم زوى هى العقل المدبر وراء انقلاب القصر الذى أطاح بحكمه • فقد عادت زوى الى القصر بناء على طلب ابنها فى اكتوبر — نوفمبر سنة ٩١٣م ونجحت فى اكتساب ولاء يوحنا الادس • وتم تدبير المؤامرة التى قضت على أعــوان البطريرك ، الذى اضطر للهرب من القصر ولجأ الى مذبح كنيسة الحكمة المقدسة حيث اعتصم هناك مدة اثنين وعشرين يوما[١٧] • أما زوى فقد دعمت مركزها فى القصر وأمسكت بزمام الحكم وأصبحت الوصية الجديدة على ابنها قسطنطين السابع •

وكانت زوى تعتزم عــزل البطريرك نيقولا مستيكوس ودعــوة ايثيميوس ليحل محله على رأس الكنيسة البيزنطية ، الا أن البطريرك السابق رفض العرض تماما مفضلا حياة السلام والهدوء فى الدير على حمل أعباء الدنيا مرة أخرى • والطريف أن ايثيميوس نصح الامبراطورة زوى بالاحجام عن مقاطعة نيقولا أو التفكير فى عزله[١٨] • وبالفعل قررت العفو عن نيقولا مستيكوس وفى مقابل ذلك طالبته بتقديم تعهد كتابى باعلانها امبراطورة رسميا فى الكنيسة وبعــدم دخول القصر الامبراطورى الا بناء على دعوة مسبقة • وفى مقــابل اذعانه لمطالبها منحته الامان فخرج من ملجئه ليرعى شئون الكنيسة فقط دون تدخل فى شئون الحكم[١٩] • ولا تشير المصادر الى ما اذا كان نيقولا مستيكوس قد أوفى بما تعهد به وقام باضفاء الشرعية على مركــز زوى باعلانها امبراطورة رسميا فى الكنيسة • على أية حال ، بمرور الوقت أخذت العلاقات تتحسن بين القصر والبطريرك ، اذ كلفته الامبراطورة زوى بكتابة عدة رسائل دبلوماسية باسم حكومتها لسيميون قيصر بلغاريا[٢٠] • كما تتأكد هذه الحقيقة فى روح المودة والتعاطف والحنو الابوى التى تظهر فى رسالة العزاء التى أرسلها نيقولا للبراكويمومنوس قسطنطين،

الرجل الاول فى حكومة الامبراطورة زوى ، والتى كتبها غالبا سنة ٩١٦م بمناسبة وفاة شقيقته[٢١] .

وجدير بالذكر أن رفض ايثيميوس دعوة زوى له بالعودة الى عرش البطريركية أدى الى تبدل ايجابى فى مشاعر نيقولا مستيكوس تجاهه. وتروى المصادر أن نيقولا ذهب الى دير القديس اجاثوس Agathos لاسترضاء ايثيميوس ، وانه اعتذر له عما وقع بينهما من أحداث،وبعد عتاب تصافى الرجلان . وفى أعقاب هذا اللقاء الاول توطدت الصداقة بينهما تدريجيا وأخذ نيقولا يقوم بزيارة البطريرك السابق بشكل منتظم. وكثيرا ما كان حديثهما يتطرق الى أحداث الماضى القريب فيثور الجدل بينهما ولكنه سرعان ماينتهى بصورة ودية[٢٢] . وفى ٢٨ من يوليو سنة ٩١٧م ارسل ايثيميوس وهو على فراش مرضه الاخير فى استدعاء نيقولا مستيكوس لوداعه . وكان اللقاء مؤثرا أخذ فيه كل منهما يطلب الصفح من الآخر قبل أن يتبادلا قبلة الوداع الاخير[٢٣] . وفى ٢٠ من أغسطس سنة ٩١٧م توفى ايثيميوس عن عمر ناهز الخامسة والثمانين قضى منها خمسا وسبعين عاما راهبا[٢٤] .

حواشى الفصـــل السادس

١ ـ تروى المصادر ان الامبراطور اسكندر فكر جديا فى تحويل ابن أخيه الى خصى لحرمانه من وراثة العرش ، واختيار أحد أتباعه ـ المدعو بازيليتزس Basilitzes السلافى ـ ليكون خلفا له على العرش ، انظر :

Arethas, **Scripta Minora,** I, p. 90; **Theoph. Cont.,** p. 379; **Scylitzes,** p. 194; Runciman, **Romanus Lecapenus,** pp. 45-46.

وانظر أيضا : وسام عبد العزيز : «الاتبـــاع والســادة ـ دراسة فى ظاهرة التبعية الشخصية فى العصر البيزنطى الأوسط» ، **مجـلة الجمعية المصرية للدراسـات التاريخيـة** ، العــدد ٣٢ (١٩٨٥) ، ص ١١٩ .

٢ ـ انظـــر الدراسة القيمة التى قامت بها الأستاذ كارلين هيتر لعهـد الامبراطور اسكندر ، فى :

Karlin-Hayter, **Alexander's Bad Name,** pp. 585-596.

٣ ـ ضم مجلس الوصاية ، بالاضافة الى البطـــريرك نيقولا مستيكوس يوحنـــا الادس Ioannes Elades وستفن Stephen (وكانا من كبـار موظفى الحـكومة) ، ويوحنـــا لازارس Ioannes Lazares وايثيميوس Euthymios (وهو رجل آخر يختلف عن البطـــريرك الســـابق) ، وبازيليـــتزس Basilitzes (السلافى) ، وجابريلوبولوس Gabrielopoulos ، انظر :

Theoph. Cont., pp. 379-380; **G. Mon. Cont.,** p. 873; **Sym. Mag.** p. 717; **Scylitzes,** p. 196; **Zonaras,** III, pp. 457-458.

ويلاحظ أن سيرة ايثيميوس لا تذكر بازيليتزس وجابريلوبولوس ضمن أعضاء مجلس الوصاية ، انظر النص والتعليق فى :

Vita Euthymii, pp. 131, 228-230.

٤ ـ **Scylitzes,** p. 197. Cf. **Theoph. Cont.,** p. 381; **Sym. Mag.,** p. 718; **G. Mon. Cont.,** p. 874; **Leo Gramm.,** p. 288; Runciman, **Romanus Lecapenus,** p. 48.

٥ — **Vita Euthymii**, p. 131; **Theoph. Cont.**, p. 381; **Scylitzes**, p. 197; **Vita Basilii Junioris**, Col. 656D; Grumel, **Les Regestes**, nos. 640, pp. 153-154; 644. pp. 155-156.

ويلاحظ أن بعض المصادر الأخرى لا تشير الى نيقولا مستيكوس تحديدا ، بل تذكر أن بعض كبار الشخصيات فى العاصمة قاموا بدعوة قسطنطين دوقاس الى دخول القسطنطينية ، انظر :

G. Mon. Cont., pp. 874-875; **Sym. Mag.**, p. 718; **Leo Gramm.**, pp. 288-289. Cf. Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 49-50.

٦ — Polemis, **The Doukai**, p. 23.

٧ — **Vita Euthymii**, p. 131; **Vita Basilii Junioris**, Col. 657 C-D.

٨ — للمزيد عن محاولة قسطنطين دوقاس اغتصاب العرش ، انظر :

Theoph. Cont., pp. 382-385; **Sym. Mag.**, pp. 719-721; **G. Mon. Cont.**, pp. 875-877; **Vita Euthymii**, pp. 131-133; **Vita Basilii Junioris**, Col. 661B; **Scylitzes**, pp. 197-199; Polemis, **The Doukai**, p. 24; Constantinides, **Nikolaos ho Mystikos**, pp. 65-69.

وانظر أيضا :

محمود سعيد عمران : **نيقولا مستيقوس** ، ص ١٦ .

٩ — **Vita Euthymii**, pp. 131-133.

١٠ — **Theoph. Cont.**, pp. 380-385; **Sym. Mag.**, pp. 717, 721; **G. Mon. Cont.**, pp. 873, 877.

١١ — أرسل البطريرك نيقولا مستيكوس الى سيميون البلغارى ثلاث رسائل فى شهرى يوليو وأغسطس سنة ٩١٣م ، احتج فيها على غزوه أقاليم الامبراطورية وتقدمه تجاه القسطنطينية ، وتوسل اليه أن يعود الى بلاده ، انظر نصوص رسائله أرقام ٥ ، ٦ ، ٧ فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. (5, 6, 7), pp. 26-44; Grumel, **Les Regestes**, nos. 641-643, 645, pp. 154-156.

وللمزيد عن أطماع القيصر سيميون ، انظر :

Dölger, **Byzanz**, pp. 140-142; Ostrogorsky, **State**, p. 262.

١٢ ـ **Theoph. Cont.**, p. 385; **G. Mon. Cont.**, pp. 877-878; **Scylitzes**, p. 200; Ostrogorsky, **State**, p. 263, n. 1.

وللمزيد عن تتويج سيميون امبراطور ، انظر :

Chrysos, **Die Krönung Symeons**, pp. 169-193; Loud, **Coronation of Symeon**, pp. 109-120.

١٣ ـ انظر الاشارة الى مشروع الزواج فى رســالة نيقولا مستيكوس الى القيصر سيميون بعد ذلك فى أواخر ديسمبر سنة ٩٢٠م :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 16, p. 109.

وانظر أيضا :

Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 51; Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 231.

١٤ ـ **Theoph. Cont.**, p. 385; **G. Mon. Cont.**, p. 878; **Scylitzes** p. 200.

١٥ ـ **Theoph. Cont.**, p. 386; **Sym. Mag.**, p. 722; **G. Mon. Cont.**, p. 879; **Scylitzes**, p. 201; Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 232; Diehl, **Byzantine Portraits**, p. 201.

١٦ ـ Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 52;

Ostrogorsky, **State**, p. 263.

وعن الانقسام والاختلاف فى مجلس الوصاية انظر :

Zonaras, III, p. 461.

١٧ ـ **Vita Euthymii**, p. 133; **Theoph. Cont.**, p. 386; **Sym. Mag.**, p. 722; **G. Mon. Cont.**, p. 878; **Scylitzes**, p. 201.

١٨ ـ **Vita Euthymii**, p. 135.

١٩ ـ **Vita Euthymii**, p. 137; Grumel, **Les Regestes**, no. 650, p. 158; Guilland, **Les Noces**, p. 20.

٢٠ ـ انظر نصوص الرسائل أرقام : ٨ (صيف سنة ٩١٤م) ، ٩ (نهاية اغسطس ـ بداية سبتمبر سنة ٩١٧م) ، ١٠ (بداية سنة ٩١٨م) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. 8, 9, 10, pp. 44-72.

وانظر أيضا :

Grumel, **Les Regestes**, nos. 655, 660, 661, pp. 160-161, 164-165; Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 53.

٢١ ـ انظر نص الرسالة رقم (٤٧) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 47, pp. 266-274.

وكان قسطنطين يشغل منصب براكويمومنوس **Parakoimomenos** أى الحاجب الأول المسئول عن غرفة نوم الامبراطور ليو السادس فى الفترة من سنة ٩٠٨م الى سنة ٩١٢م ، وعقب اعتلاء الامبراطور اسكندر للعرش قام بعزله . وعندما تولت زوى الوصاية أصبح قسطنطين أهم موظف فى الحكومة البيزنطية فى الفترة من سنة ٩١٤م الى سنة ٩١٩م . لقد كان خصيا من أنصار ايثيميوس ومقربا من زوى ، وكان القائد المعروف ليو فوقاس متزوجا من شقيقته التى توفيت غالبا سنة ٩١٦م . للمزيد عن قسطنطين هذا ، انظر :

Jenkins, **Consolatio**, pp. 162-165; Karlin-Hayter **Parakoimoméne Constantin**, p. 252.

٢٢ ـ **Vita Euthymii**, pp. 137-141.

٢٣ ـ **Vita Euthymii**, pp. 141-143.

٢٤ ـ انظر المقدمة التى أعدتها الأستاذة كارلين هيتر لسيرة ايثيميوس ، فى :

Vita Euthymii, pp. 10, 31, n. 2, and pp. 145-147.

وبعد وفاته بسنوات أدرجت الكنيسة البيزنطية اسم ايثيميوس فى قائمة القديسين ، انظر :

Halkin, **Bibliotheca**, I, pp. 204-205.

الفصل السابع

عزل زوى ووصاية رومانوس ليكابينوس

استمر اضطراب أحوال الامبراطورية البيزنطية خلال فترة وصاية زوى على قسطنطين السابع فى مواجهة السياسة العدوانية التى اتبعتها دولة بلغاريا • وكانت زوى قد بدأت بنقض التسوية التى توصل لها نيقولا مستيكوس مع القيصر البلغارى ، فأنكرت تتويج سيميون كما رفضت مشروع زواج ابنها من احدى بناته ، فترتب على ذلك اندلاع الحرب من جديد • قام سيميون بغزو اقليم تراقيا واستولى على أدرنه Adrianople فى سبتمبر سنة ٩١٤م • وفى العامين التاليين استمر هجوم البلغارعلى معظم ولايات الجزء الاوروبى من الامبراطورية البيزنطية[١] • وادركت الحكومة البيزنطية بقيادة زوى ضرورة القيام بهجوم عسكرى مضاد ، فتم وضع خطة هجوم مزدوج على بلغـــاريا من الشمال ومن الجنوب بالتحالف مع عناصر البجناكية (البشناق) Patzinaks القاطنة شمالى نهر الدانوب • وتتلخص الخطة فى قيام قائد الاسطول البيزنطى الادميرال رومانوس ليكابينوس Romanos Lecapeno بنقل قـــائد ثيم خرسون Cherson يوحنا بوجاس Ioannes Bogas وجنوده بحرا الى مصب نهر الدانوب ليتقدم الاخير بعد ذلك جنوبا تجاه بلغاريا بالتنسيق مع البجناكية ، بينما يتقدم القائد العـــام ليو فوقاس Leo Phocas بالجيش الرئيسى برا عبر اقليم تراقيا على طول ساحل البحر الاسود شمالا الى بلغاريا • وكانت الخطة تعتمد أساسا على التنسيق الدقيق والتعاون ليتحقق النجاح للهجوم المزدوج • ولكن الخلاف الذى نشب بين قائد ثيم خرسون من ناحية وقائد الاسطول البيزنطى من ناحية أخرى أفشل الهجوم من الشمال واضطرت عناصر البجناكية (البشناق) الى العودة الى بلادها • وفى ظل هذه الظروف انتهت المعركة الحاسمة التى دارت عند اخلوس Achelous بالقرب من مدينة انخيالوس Anchialus فى ٢٠ من أغسطس سنة ٩١٧م بهزيمة الجيش البيزنطى بقيادة ليو فوقاس

وأعقبت ذلك هزيمة أخرى لفلول الجيش البيزنطى عند كاتا سيرتاى Catasyrtae القـــريبة من العاصمة[٢] • وفى سنة ٩١٨م تابع القيصر سيميون انتصاراته بغزو اليونان والتوغل جنوبا حتى مضيق كورنثا ليصبح سيدا على شبه جزيرة البلقان[٣] •

وقعت الحكومة البيزنطية فى مأزق كبير وفقدت زوى ما تبقى لها من شعبية وسرعان ما فقدت نفوذها • وفى هذه الظروف الصعبة اضطر قسطنطين السابع ، وكان قد بلغ الثالثة عشرة من عمـــره ، الى تولى الحكم بنفسه وأرسل فى استدعاء نيقولا مستيكوس لمعاونته[٤] • وفى الوقت الذى أخذ فيه البطريرك يعود الى ساحة السياسة مرة أخرى، تطلع اثنان من القادة العسكريين هما القائد ليو فوقاس والادميرال رومانوس ليكابينوس الى اغتصاب السلطة ، وسط شعور عـــام بأن الموقف يحتاج الى رجل قوى • وكانت زوى وكبير موظفيها قسطنطين ينلصران ليو فوقاس بينما كان ثيودور Theodore مؤدب الامبراطور القاصر يؤيد ليكابينوس[٥] • وفى هذا السباق على السلطة كان الفوز من نصيب رومانوس ليكابينوس ، الذى تمكن بمساعدة أعوانه من اقصاء مناوئيه فى القصر • ورغم اعتراض نيقولا مستيكوس دخل ليكابينوس ببعض سفن الاسطول الى الميناء الخاص بالقصر الامبراطورى وفرض حمايته على الامبراطور قسطنطين السابع فى ٢٥ من مارس سنة ٩١٩م• وأدى تطور الاحداث على هذا النحو الى خروج البطريرك من دائرة السلطة والحكومة ، ولكنه سرعان ما اعترف بالامر الواقع بعد أن توصل الى تفاهم مع الوصى الجديد[٦] •

بسط رومانوس ليكابينوس نفـــوذه على الامبراطورية بخطوات تدريجيـــة • ففى ابريل سنة ٩١٩م رتب خطوبة قسطنطين السابع من ابنته هلن Helena • وأعقب ذلك بنفى زوى الى أحد الاديرة للمرة الاخيرة حيث توفيت هناك فى ظروف غامضة • ونجح فى احباط تمرد

للجيش بقيادة ليو فوقاس الذى تم القبض عليه وسمل عينيه • وفى ٤ من مايو سنة ٩١٩م تمت مراسم زواج قسطنطين السابع ، وكان قد قارب الرابعة عشرة من عمره ، من هـــلن على يد البطريرك نيقــــولا مستيكوس[٧] •وعقب تتويج ابنته امبراطورة،اتخذ ليكابينوس لنفسه لقب والد الامبراطور Basileopator الذى سبق للامبراطور ليو السادس أن أنعم به على ستيليانوس زاوتزس والد زوجته الثانية • وفى ٢٤ من سبتمبر سنة ٩٢٠م أنعم الامبراطور قسطنطين السابع عليه بلقب قيصر Caesar ، وفى ١٧ من ديسمبر من نفس العام تم تتويج ليكابينوس امبراطـــورا مشاركا على يد البطريرك[٨] • ومع أن البطريرك نيقولا مستيكوس أيد اجراءات ليكابينوس التى استهدفت احكام قبضته على السلطة الامبراطورية ، الا أنه حرص فى نفس الوقت على الدفاع عن حقوق الامبراطور قسطنطين السابع •

هذا ، وقد تعاون نيقولا مستيكوس مع رومانوس ليكابينوس فى علاج مشكلة الخطر البلغارى،ولعب البطريرك فى الواقع دور الوسيط[٩]• وبعد محاولات مضنية أثمرت جهود البطريرك الدبلوماسية،وتم التوصل الى هدنة بين الدولتين فى سنة ٩٢٤م • ولكن السلام الحقيقى لم يتحقق الا فى سنة ٩٢٧م عقب وفاة القيصر سيميون واعتلاء ابنه بطرس عرش الدولة البلغارية[١٠] •

حواشى الفصـــل السابع

١ – Ostrogorsky, **State**, p. 263; Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 53.

وتجدر الاشارة الى أن رسائل نيقولا مستيكوس الى القيصر سيميون تعكس طبيعة وأبعاد الغزو البلغارى لأقاليم البلقـان والدمار الذى تنتج عن ذلك . انظر نصوص الرسائل أرقام (٨) ، (٩) ، (١٠) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. 8, 9, 10, pp. 44-72.

٢ – **Theoph. Cont.**, pp. 388-390; **Sym. Mag.**, pp. 724-725; **G. Mon. Cont.**, pp. 881-883; **Scylitzes**, pp. 203-205; **Leo Gramm.**, pp. 295-296; **Zonaras**, III, pp. 464-465; Jenkins, **Imperial Centuries**, pp. 234-235; Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 55-56.

٣ – Ostrogorsky, **State**, p. 264.

٤ – **Theoph. Cont.**, p. 392; **G. Mon. Cont.**, p. 884; **Leo Gramm.**, p. 298; **Zonaras**, III, p. 467; Guilland, **Les Noces**, p. 21.

٥ – **Theoph. Cont.**, pp. 391-392; **Sym. Mag.**, pp. 725-726; **G. Mon. Cont.**, p. 883; **Scylitzes**, pp. 205-206; **Leo Gramm.**, pp. 297-298; Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 57-58.

٦ – **Theoph. Cont.**, pp. 393-394; **G. Mon. Cont.**, pp. 885-886; **Scylitzes**, pp. 208-209; **Zonaras**, III, pp. 467-468; Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 58-60; Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 236.

٧ – **Theoph. Cont.**, pp. 394, 395-397; **Sym. Mag.**, pp. 727-731; **G. Mon. Cont.**, pp. 887-889; **Leo Gramm.**, pp. 301-303; **Scylitzes**, pp. 209-212; **Zonaras**, III, pp. 468-469; Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 60-61.

بالنسبة للتحـديد الدقيق ليوم انعقـاد زواج قسطنطين السابع ، انظر :

Jenkins, **Chronological Accuracy**, p. 108.

والمعـروف أن السن القـانونى لزواج الرجل فى القانون البيزنطى يبدأ من الرابعة عشرة ، انظر :

Zhishman, **Das Eherecht**, I, pp. 370-371.

٨ — **Theoph. Cont.**, pp. 397-398; **Sym. Mag.**, p. 731; **G. Mon. Cont.**, p. 890; **Leo Gramm.**, p. 304; **Scylitzes**, p. 212.

وكان الاعتقاد السائد أن تتويج ليكابينوس ، امبراطورا مشـاركا جرى فى ديسمبر سنة ٩١٩م ، ولكن الأستاذ جرومل أثبت أنه وقع فى سنة ٩٢٠م ، انظر :

Grumel, **Notes**, pp. 333-335; Grumel, **La Chronologie**, p. 358; Jenkins, **Imperial Centuries**, pp. 236-237.

٩ — بلغ اجمـالى عدد رسائل البطـريرك نيقولا مستيكوس للقيصر سيميون البلغـارى ٢٥ رسـالة ، منها ١٨ رسالة فى عهد رومانوس ليكابينوس فى الفـترة من سنة ٩٢٠م وحتى سنة ٩٢٥م . انظـر نصوص الرسائل أرقام من (١٤) الى (٣١) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Eps. 14-31, pp. 92-214.

١٠ — Runciman, **Romanus Lecapenus**, pp. 90-101.

الفصل الثامن

عودة الوحدة الى الكنيسة البيزنطية

عندما قبض رومانوس ليكابينوس على زمام الحكومة البيزنطية سنة ٩١٩م ، ساد اعتقاد عـــام بأن الهـــزائم العسكرية التى منيت بها الامبراطورية البيزنطية أمام البلغار ، كانت بسبب الانقسام داخـــل الكنيسة ، وبالتحديد لعدم قبول أولئك الذين وافقوا على الزواج الرابع فى رعية الكنيسة[١] • ولقد سعى رومانوس ليكابينوس الى اعادة الوئام الى الكنيسة باقتراح عقد مصالحة بين التيارين المتنازعين من رجال الدين لا يخرج فيها منتصر أو مهزوم • ولم تكن المصالحة المقترحة تتطلب من أنصار ايثيميوس التراجع عن وجهة نظرهم ، الا أن نيقولا مستيكوس عارض تنفيـــذ مصالحة على هذا النحو • ففى رسالته الى رومانوس ليكابينوس قبل تتويجه امبراطورا مشاركا ، رحب نيقولا بعقد مصالحة بين رجال الدين ، ولكنه ارادها مصالحة تضفى الشرف والاحترام على الكنيسة فى الحاضر والمستقبل • وأوضح نيقولا انه يرغب فى الرحيل عن الدنيا طاهرا حتى لا يوصم بشبهة ازدراء قوانين الكنيسة المقدسة بعد وفاته فيتعرض اسمه للعنة • ويظهر بوضوح فى هذه الرسالة ايمان نيقولا العميق بأن قوانين الكنيسة فى أمور الزواج ملزمة ولا يجـــوز انتهاكها[٢] •

ورغم قيام نيقولا مستيكوس بعد عودته لعرش البطريركية بحركة تطهير فى الكنيسة البيزنطية راح ضحيتها عدد من أنصار ايثيميوس ، فانه سرعان ما تحلى بالصبر وضبط النفس وحاول اتباع سياسة معتدلة مع أعدائه فى سعيه لاحتواء الانفعالات وتهدئة الخواطر فى الكنائس المحلية • ففى رسالته الى نيكتاس Nicetas أسقف اثينا فى سنة ٩١٤م، الذى كان من أنصاره المتشددين ، وجه نيقولا اليه اللوم لقيامه بعزل أحد رجال الكنيسة من أنصار البطريرك السابق وطلب منه اعادته الى منصبه حتى يتم الفصل النهائى فى أمر أنصار ايثيميوس اما بادانتهم أو التسامح معهم[٣] •

واذا كان نيقـــولا قد أقلع عن سياسة اضطهاد أعدائه فى سعيه لاحتواء الانشقـــاق فى الكنيسة البيزنطية ، فانه ما كان يسمح بقبول تسوية على حساب القوانين الكنسية، واذا كان قد اتبع سياسة مغايرة لبعض الوقت خـــلال بطريركيته الاولى ، فانه لم يقصد الغـــاء تلك القوانين أو تأويلها • وعلى هذا فهو يطالب ارثاس وغيره من أنصـــار البطريرك السابق بالتخلى عن تأويلاتهم للقوانين الكنسية لصالح المفهوم التقليدى للزواج المتعارف عليه فى بيزنطة •

على أية حال ، تعاون نيقولا مستيكوس مع رومانوس ليكابينوس فى الدعوة لعقد مجمع دينى لتسوية مسألة تكرار مرات الزواج بشكل نهائى[٤] • وحضر هذا المجمع الكنسى العام أساقفة وقساوسة يمثلون التيارين المتنازعين فى الكنيسة البيزنطية[٥] • ولا تمدنا المصادر بتفاصيل وقائع جلسات هذا المجمع الذى انعقد فى القسطنطينية فى النصف الثانى من شهر يونيو سنة ٩٢٠م ، وتكتفى بالاشارة الى أنه أسفر عن عقد مصالحة بين نيقولا مستيكوس وأنصاره من ناحية،وأنصار البطريرك الراحل ايثيميوس من ناحية أخرى[٦] • وتم الاعلان الرسمى عن عودة الوحدة الى الكنيسة البيزنطية فى يوم الاحد الموافق ٩ من يوليو سنة ٩٢٠م فى وثيقة باسم قسطنطين السابع ورومانوس ليكابينوس تعرف باسم كتاب الاتحاد (Tomos Enoseos) Tomus Unionis [٧] • وتتضمن هذه الوثيقة عدة قرارات هامة من بينها أن المجمع قرر بالاجماع التحريم النهائى لكل زواج رابع من الآن (ابتداء من سنة ٩٢٠م) فصاعدا ، دون ادانة الحـــالات السابقة على هـــذا التاريخ • ونصت الوثيقـــة على أن كل من يعقد زواجا من هذا النوع سيوقع عليه الحرمان من دخول الكنيسة والاشتراك فى أى قداس دينى طالما استمر فى ارتباطـــه المحرم[٨] • وأكدت الوثيقة على أن هذا القرار يمثل رأى آباء الكنيسة الذين شجبوا مثل هذه العلاقة باعتبارها دخيلة على المسيحية[٩] • ويلاحظ أن هذا التحريم الصارم للزيجات الرابعة لم يأت بجديد بل كان أمرا متعارفا

عليه فى المفهوم التقليدى للكنيسة البيزنطية ، ولكن النص عليه بوضوح لا لبس فيه ولا ابهام كان أمرا ضروريا لسد الثغرات والحيلولة دون تأويل أقوال آباء الكنيسة فى المستقبل • وأصبح هذا التحريم تشريعا متبعا فى الكنيسة الارثوذكسية الى يومنا هذا[١٠] •

ويظهر الموقف المتزمت لهذا المجمع فى قراراته الاخرى المتعلقة أيضا بمسألة تكرار مرات الزواج • فقد أعلن المجمع رفض الاباحة المطلقة للزواج الثالث ، الذى ربما كان قد أصبح شائعا ، وقرر وضع قيود على شرعية انعقاده • فاذا عقد رجل بلا ذرية زواجا ثالثا وكان قد بلغ الاربعين من عمره ، فانه يحرم من دخول الكنيسة مدة خمس سنوات• وبعد انقضاء فترة عقوبة الحرمان يقتصر السماح له بحضور القداس الدينى فى الكنيسة على مرة واحدة فى العام للمشاركة فى قداس عيد الفصح فقط • أما اذا كان لديه أطفال من زيجات سابقة فان زواجه للمرة الثالثة لا يغتفر[١١] • ولكن اذا كان الرجل قد بلغ الثلاثين من عمره فقط ولديه أطفال من زيجاته السابقة ثم أقدم على الزواج للمرة الثالثة ، فقد حدد المجمع فترة حرمانه بأربع سنوات • وبعد انقضاء فترة الحرمان يقتصر السماح له بحضور القداس الدينى على ثلاث مرات فى السنة • أما اذا لم يكن لديه أطفال من زيجات سابقة فيمكن التسامح فى أمر زواجه للمرة الثالثة بعد قضائه فترة الحرمان المقررة[١٢] • ويلاحظ أن هذه القيود المفروضة على الزواج الثالث استمرت مطبقة لبعض الوقت ، ثم تغاضت عنها الكنيسة الارثوذكسية بعد ذلك كما هو الحال اليوم[١٣] • هذا وقد أجاز المجمع الزواج للمرة الثانية دون قيود واعتبره شرعيا مباركا مثل الزواج الاول[١٤] •

هكذا وبعد خمس عشرة سنة من الجدل والخلاف والانقسام بين رجال الدين وما نجم عن ذلك من اضطراب أحوال الامبراطورية،عادت الوحدة الى الكنيسة البيزنطية وتصافح نيقولا مستيكوس وقطب المعارضة العنيد أرثاس وعادة المودة والصداقة بينهما[١٥] • وشعر

سكان الامبراطورية البيزنطية بالفرحة فور اعلان وثيقة كتاب الاتحاد ، وأصبح يوم اعلانها عيدا لمجد الكنيسة الارثوذكسية يجرى الاحتفال به سنويا • ففى يوم الاحد الاول من الصوم الكبير من كل عـــام تتم قراءة كتاب الاتحاد من فـــوق منبر الوعظ فى كنيسة القديسة ايرين St. Irene فى القسطنطينية ، بحضور الاباطرة ، فى طقس خاص احتفالا بعودة السلام الى الكنيسة[١٦] • وأصبح على قسطنطين السابع فى كل عام احتمال مشقة الاستماع الى نصوص هذا الكتاب وما تنطوى عليه بداهة من كونه ابنا غير شرعى • ورغم ما قد يبدو فى ذلك من اذلال له فيجب ألا ننسى أن عدم تطبيق التحريم الوارد فى الوثيقة بأثر رجعى فضلا عن تجنب الاشارة الى الزواج الرابع لابيه تحديدا قد حفظ لأمه احترامها ولشخصه الشرعية[١٧] •

حواشى الفصـــل الثامن

١ ـ حاول نيقـــولا مستيكوس فى رســــالته رقم (٧٥) الى رومانوس ليكابينوس تفنيد هذا الاعتقاد ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 75, p. 326.

٢ ـ **Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters**, Ep. 75, pp. 324-328; Grumel, **Les Regestes**, no. 665, pp. 166-167.

٣ ـ انظر نص رسالة نيقولا مستيكوس رقم (١١٣) الى نيكتاس أسقف أثينا فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 113, pp. 398-400

وانظر أيضا ملاحظات الأستاذين جرومل وجنكنز فى :

Grumel, **Les Regestes**, no. 706, pp. 189-190; Jenkins, **Tetragamy**, pp. 237-238.

٤ ـ يظهر بوضوح فى رسالة نيقولا مستيكوس رقم (١٠٠) الى اســكندر أسقف نيقيـــة (فى مطلع سنة ٩٢٠م) أن الدعوة لحضور المجمــع الكنسى العام صادرة من البطريرك وأولئك الذين يتولون السلطة أى من قسطنطين السابع ورومانوس ليكابينوس ، الا أن الأخير كان فى الواقع هو المتصرف فى شئون الحكم ، انظر :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 100, p. 370; Grumel, **Les Regestes**, nos. 667, 668, pp. 168-169.

٥ ـ **Syntagma (RP)**, V, p. 6; Grumel, **Les Regestes**, no. 666, p. 168.

ولا يوجد دليل واحد على أن هذا المجمع العام للكنيسة البيزنطية قد حضره مندوبون عن البابا يوحنا العاشر (٩١٤ ـ ٩٢٨م) كمــا يعتقد بعض المؤرخين الحديثين خطأ فى دراساتهم التالية :

Dvornik, **Constantinople and Rome**, p. 456; Grégoire, **Macedonians**, p. 137; Ostrogorsky, **State**. p. 271.

وكذلك ، الباز العرينى : **الدولة البيزنطية** ، ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .

٦ – **Theoph. Cont.**, p. 398; **Sym. Mag.**, p. 731; **G. Mon. Cont.** pp.. 890-891; **Leo Gramm.**, p. 304; **Scylitzes**, p. 213.

٧ – انظر النص الكامل لوثيقة كتاب الاتحاد **Tomus Unionis** فى : **Syntagma (RP)**, V, pp. 4-9; **JGR (Lingenthal)**, III, pp. 228-232; **JGR (Zepos)**, I, pp. 193-196.

وانظر أيضا :

Grumel, **Les Regestes**, no. 669, pp. 169-171.

ويتضح من نص هذه الوثيقة أن رومانوس ليكابينوس لم يكن قد توج بعد امبراطورا مشاركا ، اذ كان يحمل لقب «والد الامبراطور» Basileopator فقط .

٨ – **Syntagma (RP)**, V, p. 6; Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 238.

وانظر أيضا : أسد رستم : **الروم** ، جـ ٢ ، ص ٢٤ ، محمود سعيد عمران : **نيقولا مستيقوس** ، ص ٢٧ .

٩ – **Syntagma (RP)**, V, p. 6.

١٠ – وتجدر الاشارة الى أن الانتهاك الوحيد لهذا التشريع فى الكنيسة الارثوذكسية حدث فى روسيا القيصرية عندما قام القيصر ايفان الرابع Ivan IV المعروف بالرهيب (١٥٤٧ – ١٥٨٤م) بعقد زواج رابع . واضطرت الكنيسة الارثوذكسية الى التسامح فيه بعد أن فرضت عليه الحرمان ، انظر :

Joyce, **Christian Marriage**, p. 599; Godefroy, Le Bras, Jugie, **Mariage**, Col. 2328.

١١ – **Syntagma (RP)**, V, p. 7.

وقارن أيضا : أسد رستم : **الروم** ، حـ ٢ ، ص ٢٤ ، محمود سعيد عمران : **نيقولا مستيقوس** ، ص ٢٧ .

١٢ – **Syntagma (RP)**, V, p. 8; Cf. Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 238.

١٣ ـ للمزيد عن مدى التزام الكنيسة بالقيود الواردة فى وثيقة «كتاب الاتحاد» بالنسبة للزواج الثالث ، انظر :

Zhishman, **Das Eherecht**, II, p. 128-130.

١٤ ـ **Syntagma (RP)**, V, pp.8-9. Cf.Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 238.

١٥ ـ Kougeas, **Kaisareias Arethas**, pp. 14, 17.

١٦ ـ **De Caerim.**, I, pp. 186-187.

١٧ ـ قارن :

Jenkins, **Imperial Centuries**, p. 239.

الفصل التاسع

نيقولا مستيكوس وكنيسة روما

حرص نيقولا مستيكوس بعد عودة الوحدة الى الكنيسة البيزنطية على تحسين علاقته بروما • وكانت العلاقة بين الكنيستين قد توترت عقب عزل البطريرك ايثيميوس • وزاد من تدهورها تلك الرسالة شديدة اللهجة التى أرسلها نيقولا مستيكوس فى النصف الثانى من سنة ٩١٢م الى البابا أناستاسيوس الثالث (٩١١ ــ ٩١٣م) الذى خلف سرجيوس الثالث (٩٠٤ ــ ٩١١م) على عرش البابوية • وكانت الرسالة عبارة عن مذكرة تفصيلية لابعاد أزمة الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس ودوره فيها • وتضمنت توجيه اللوم للبابا سرجيوس الثالث على تجاهله لنيقولا وتجاوز صلاحياته وتدخله المباشر فى شئون الكنيسة البيزنطية• كما اشتملت على نقد لاذع لتأويل روما القوانين الكنسية واباحتها تكرار مرات الزواج • وفى نهاية الرسالة طالب نيقــولا البابوية أن تتدارك خطأها قبل أن تصبح الزيجات الرابعة أمرا شائعا فى المجتمع المسيحى وأن تعلن بطلان ما جرى فى سنة ٩٠٧م وادانة أولئك الذين أدخلوا العار الى الكنيسة[١] • ولم يهتم البابا أناستاسيوس الثالث بالرد على هذه الرسالة • ويتضح من رسائل نيقــولا التالية انقطــاع العلاقة بين الكنيستين وقيام نيقولا مستيكوس بازالة اسم البابا من قائمة الدبتك diptychs المقدس لكنيسة القسطنطينية[٢] •

على أية حال ، بعد اعلان وثيقة كتاب الاتحــاد ، أرسل نيقولا مستيكوس فى منتصف يوليو سنة ٩٢٠م رسالة جديدة الى البابا يوحنا العاشر (٩١٤ ــ ٩٢٨م) • وأشار نيقولا فى رسالته الى عودة الوحدة والسلام الى الكنيسة البيزنطية وحث البابا على ارسال مبعوثين من طرفه الى القسطنطينية لتسوية الخلاف بين الكنيستين على أساس انكار شرعيةالزواج للمرة الرابعة بصورة نهائية[٣] • ومرة أخرى تجاهلت

البابوية هذه الرسالة أيضا • وفى سنة ٩٢١م أرسل الامبراطور رومانوس ليكابينوس والبطريرك نيقولا مستيكوس سفارة مشتركة ورسالتين الى بابا روما • وتتميز رسالة نيقـــولا بأسلوبها الاسترضائى ، فقد أكد حرصه على عودة الوئام والصفاء بين الكنيستين • واقترح اعادة ذكر اسم البابا في قـــائمة الدبتك المقدس لكنيسة القسطنطينية فى مقابل موافقته على الاعتراف بأن الزواج الرابع ، وان تم التسامح فيه بشكل استثنائى لصالح الامبراطور ليو السادس لاعتبارات معينة ، فانه أمر لن تسمح به الكنيسة مرة أخرى فى المستقبل • وأوضح نيقولا أنه لم يعد يطالب بادانة من وافقوا على هذا الزواج من قبل ، وحث البابا على ارســـال مبعوثيه الى العـــاصمة البيزنطية لتسوية المسألة على هذا النحو[٤] • ولم يكتف البطريرك بذلك بل قام بكتابة عدة رسائل أخرى فى نفس العام لبعض الشخصيات العامة فى ايطاليا للضغط على البابوية لانهاء القطيعة وتسوية الخلاف مع كنيسة القسطنطينية[٥] •

ويبدو أن البابا يوحنا العاشر تسلم رسالة أخرى فى نفس العام من بطريرك القسطنطينية نقلها اليه اثنان من رجال الدين • ورغم أن نص هذه الرسالة لم يصل الينا ، الا أن نيقولا أشار اليها فى رسالة تالية أرسلها الى البابا نفسه فى النصف الثانى من سنة ٩٢٢م[٦] • وفى رسالته الاخيرة أكد من جديد على ضرورة انهاء القطيعة وعودة الســـلام بين الكنيستين ، وكرر طلبه وطلب الامبراطور ارسال مبعوثين من كنيسة روما الى القسطنطينية لعقد مجمع لتسوية الخلاف بين الكنيستين •

وفى النهاية أثمرت جهود البطريرك ، فقد أذعن البابا يوحنا العاشر لمطالب القسطنطينية وأرسل اثنين من الاساقفة اللاتين هما ثيوفيلاكت Theophylact وكاروس Carus الى القسطنطينية فى ربيع سنة ٩٢٣م• ولا تمدنا المصادر بتفاصيل مادار من مفاوضات بل أن كل ما نعرفه عن هذا الموضوع هو ما ورد فى رسالة من نيقولا مستيكوس الى سيميون

قيصر بلغاريا فى نفس العام • ففى تلك الرسالة ذكر نيقولا أن مبعوثى البابا يوحنا العاشر حضرا الى القسطنطينية وأنه اجتمع بهما وتم الاتفاق على تسوية الخلاف القائم باعلان تحريم الزواج للمرة الرابعة وبذلك عاد السلام بين كنيستى القسطنطينية وروما[٧] •

ورغم ما يمثله هذا الاعـــلان من تناقض مع ما هو معروف من موقف كنيسة روما التقليدى من مشروعية تكرار الزواج بسبب وفاة أحد الزوجين ، فالمرجح أن هذه الرواية التى انفرد بطريرك القسطنطينية بتسجيلها صحيحة • فمن المحتمل أن البابا يوحنا العاشر أذعن لرغبة القسطنطينية على أمل الحصول على مساعدة عسكرية لمواجهة اغارات المسلمين على جنـــوب ايطاليا[٨] • كذلك يلاحـــظ أن القسطنطينية لم تعترض على قرارات مجمع سبالاتو Spalato سنة ٩٢٤م والتى نصت على عودة تبعية دالماشيا الى كنيسة روما[٩] • وكان الامبراطور ليـــو الثـــالث Leo III (٧١٧ — ٧٤١م) قد قام فى سنة ٧٣٢م بفصل تبعية كنائس ولاية الليريا Illyricum بما فى ذلك دالماشيا عن كنيسة روما وضمها الى كنيسة القسطنطينية[١٠] • ويعتقد بعض المؤرخين أن عودة تبعية دالماشيا الى البابوية كانت جزءا من اتفاق روما والقسطنطينية فى سنة ٩٢٣م[١١] • على أية حال ، يجب أن ننظر الى هذه التسوية بين روما والقسطنطينية بخصوص تحريم الزواج الرابع على أنها اعلان غير ملزم للبابوية ، فلا أثر له فى سجلاتها ، وان تطبيقه اقتصر على بيزنطة وحـــدها •

حواشى الفصـــل التاسع

١ ـ انظر نص هذه الرساة رقم (٣٢) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 32, 214-244;

Grumel, **Les Regestes**, no. 635, pp. 151-152.

٢ ـ قارن رسالة نيقولا مستيكوس رقم (٥٣) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 53, p. 288;

Grumel, **Les Regestes, no.** 675, pp. 173-174. Cf. Gay, **Nicolas le Mystique**, p. 98.

والدبتك **diptychs** عبارة عن قائمة بأسماء الأشخاص الذين يتردد ذكرهم والدعاء لهم فى الكنيســة أثناء انشاد التراتيــل الدينية . وتتضمن القائمة أسماء أباطرة ، وبطاركة وأساقفة فضلا عن عدد من الشخصيات الرسمية والعامة الأخرى . ولا تتضمن القائمة أسماء هراطقة أو كنائس منشقة على القسطنطينية ، وللمزيد انظر :

Goar, **Euchologion, pp.** 62, 145.

٣ ـ انظر نص الرسالة رقم (٥٦) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 56, p. 298;

Grumel, **Les Regestes**, no. 671, p. 172.

٤ ـ انظر نص الرسالة رقم (٥٣) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 53, pp. 286- 292.

بالنسبة لرســالة رومانوس ليكابينوس التى تعكس اهتمامه باعادة السلام مع روما ، انظر :

Dölger, **Regesten (Kais)**, nos. 590-591, p. 71.

انظر أيضا :

Gay, **Nicolas le Mystique**, pp. 97-98.

٥ ـ انظر رسائل نيقولا مستيكوس أرقام (٥٤) ، (٥٥) ، (٨٣) ، (٨٤) ، فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 54, pp. 292-294; Ep. 55, pp. 294-298; Ep. 83, p. 342; Ep. 84, p. 344; Grumel, **Les Regestes**, nos, 696, 697, 700, 701, pp. 183-186.

٦ ـ انظر رسالة نيقولا مستيكوس رقم (٧٧) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 77, pp. 330-332; Grumel, **Les Regestes**, no. 711, pp. 192-193.

٧ ـ انظر رسالة نيقولا مستيكوس رقم (٢٨) فى :

Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters, Ep. 28, p. 194; Grumel, **Les Regestes**, no. 712, pp. 193-194.

٨ ـ قارن :

Runciman, **Romanus Lecapenus**, p. 189.

وكانت البابوية قد حصلت على مساعدات عسكرية بيزنطية فى مناسبات مختلفة ، انظر :

Gay, **Italie Méridionale**, I, pp. 161, 206-208.

٩ ـ Jaffé, **Regesta**, nos, 3571-3572, I, p. 452.

١٠ ـ Anastos, **Transfer of Illyricum** pp. 14-31; Anastos, **Iconoclasm**, pp. 71-72.

ويرى الأستاذ جرومل أن ضم كنائس الليريا وصقلية وكلابريا الى القسطنطينية حدث فى عهد الامبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ ـ ٧٧٥م) ، انظر :

Grumel, **Annexion de l'Illyricum**, pp. 191-193.

وانظر أيضا :

Toynbee, **Constantine**, pp. 356, 489.

١١ ـ Every, **Byzantine Patriarchate**, p. 134.

خاتمـــة

كان النزاع الذى اثاره الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس وما ترتب عليه من انقســـام فى الكنيسة مشكلة عانى منهـــا المجتمع البيزنطى ، لان انتهاك تعاليم الكنيسة فى الزواج وشرعية العلاقة بين الرجل والمرأة كانت من قضايا السلوك الاجتماعى العام التى تؤثر فى حياة الملايين من البشر • ولكن المشكلة كان لها بالاضافة الى الابعاد الدينية دلالة سياسية هامة تعكس طبيعة العلاقة بين الدولة والكنيسة فى بيزنطة • فبعد الاعتراف بالمسيحية فى القرن الرابع الميلادى حدث تغير فى مفهوم مكانة الامبراطور ، فلم يعد بامكان المسيحيين اعتباره مقدسا بل اعتبروه رجلا اختارته المشيئة الالهية ليكون ممثل الرب على الارض • وبهذا التصور أصبح الامبراطور فوق سائر البشر ، وأحاط نفسه بطقوس احتفالية صارمة تذكرنا بطقوس العبادة فى الكنيسة • ولما كان الامبراطور ممثل الرب ، كان من الطبيعى أن تربطـــه علاقة خاصة بالكنيسة •

لقد حدد الامبراطور قسطنطين الكبير فى القرن الرابع أبعاد هذه العلاقة عندما أدخل الكنيسة داخل اطار الدولة لتصبح «كنيسة الدولة» • فالكنيسة لا تخضع فقط لحماية الدولة بل تتبع توجهاتها أيضا • وبهذا التحديد ارتفع الامبراطور البيزنطى فوق الكنيسة ، وأعطاه هذا المركز عددا من الامتيازات الخاصة ، فهو يدعو المجـــامع الدينية للانعقاد ويترأسها بنفسه أو من ينوب عنه من كبار موظفيه ، ويصـــدق على قراراتها ويصدرها فى صورة مراسيم • كما يصدر أحكامه الشخصية فى أمور السلوك العام والعبادة فى اطار روح العقيدة المسيحية • وله أن يؤسس دوائر أسقفية جديدة ، ويرفع من درجة ومكانة دوائر أخرى

قائمة ، كما كان له تأثير حاسم فى اختيار البطريرك • وهيمنة الاباطرة على الكنيسة هى التى تمت صياغتها فى مصطلح «القيصرية — البابوية Caesaro Papism »[1] •

ومع أن البطريرك كان من الناحية السياسية مواطنا بيزنطيا ، فانه كان مستقلا الى حد بعيد فى تصريف الشئون الدينية • وكانت الدولة مطالبة بأن تساعد الكنيسة فى اقرار قواعد السلوك المتعارف عليها ، فاذا قام أحد الاباطرة بانتهاك هذه القواعد لم تكن الكنيسة تقف أمامه مستسلمة • ويمكن القول أنه فى ثلاث مناسبات على امتداد نصف قرن امتلك بطريرك القسطنطينية الشجاعة وأصدر قرارا بحرمان قيصر أو امبراطور من دخول الكنيسة لحضور القداس الدينى كعقاب لاقترافه جريمة أو لانتهاكه قواعد الاخلاق العامة • ففى سنة ٨٥٨م أصدر البطريرك اجناتيوس قرار الحرمان ضد القيصر برداس لان الاخير أقام علاقة محرمة مع زوجة ابنه[2] •وفى سنة٨٦٧م أصدر البطريرك فوتيوس قرار الحرمان ضد الامبراطور باسيل الاول المقدونى لقيامه بقتل الامبراطور ميخائيل الثالث[3] • وأخيرا قام البطريرك نيقولا مستيكوس فى سنة ٩٠٦م باصدار قرار الحرمان ضد الامبراطور ليو السادس لانه عقد زواجا رابعا محرما[4] • وفى جميع هذه الحالات طبقت الكنيسة القانون الكنسى على الحكام وأنزلت بهم العقوبات الروحية المناسبة • وكان هذا هو أقصى ما استطاعت الكنيسة أن تذهب اليه وهى تحاول تأكيد استقلالها بالحكم فى الشئون الدينية • ولكن فى جميع تلك المناسبات دفع البطريرك الثمن بالعزل من منصبه على يد القيصر أو الامبراطور الذى صدر ضده هذا الحرمان • على أية حال ، تجاوزت الكنيسة البيزنطية أزمة الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس فى حدود الخيارات المتاحة أمامها فى ظل هيمنة الدولة • ولم يكن أمامها الا أن تتسامح فيه على أنه حالة استثنائية فرضتها اعتبارات انسانية وضرورات سياسية من أجل استمرار بقاء الاسرة المقدونية • هكذا نال

قسطنطين السابع الشرعية رغم أنه ابن غير شرعى واستمر الحكم فى اسرته حتى سنة ١٠٥٦ م٠

وكان البطريرك نيقولا مستيكوس الشخصية الرئيسية فى جميع مراحل تلك الازمة التى واجهها بشجاعة وتحمل فى صبر وطأة مضاعفاتها فى الداخل والخارج ٠ لقد حاول ابان بطريركيته الاولى أن يتجنب تفجر الازمة وانقسام الكنيسة ولكنه فشل ٠ أما فى بطريركيته الثانية فقد نجح فى علاج مضاعفاتها عندما حافظ على حقوق قسطنطين السابع،بعد أن تمكن رومانوس ليكابينوس من اغتصاب السلطة ، كما نجح بالتعاون مع القصر فى اعادة الوحدة للكنيسة البيزنطية ، والسلام مع روما ، والهدنة مع بلغاريا ٠ لقد توفى نيقولا مستيكوس فى ١٦ من مايو سنة ٩٢٥م عن عمر يناهز الثالثة والسبعين بعد حياة حافلة حرص فيها على التمسك بتقاليد الكنيسة ٠ وبعد وفاته لم يكن جزافا أن يضاف اسمه الى قائمة القديسين فى كنيسة القسطنطينية كما تم احياء ذكراه وتسجيل مآثره فى كتب الادب الديني للكنيسة الارثوذكسية ٠

حواشى الخاتمة

١ ـ Herman, **Secular Church**, pp. 104-106.

وللمزيد عن مزاعم «القيصرية ـ البابوية» فى بيزنطة واختلاف تطور علاقة الكنيسة بالدولة فى الغرب الأوروبى ، انظر :

كانتور : التاريخ الوسيط قصة حضارة ، جـ ١ ، ص ١٢٧ ـ ١٣٦ .

٢ ـ **G. Mon. Cont.**, p. 826; **Theoph. Cont.**, pp. 193-195; **Sym. Mag.**, pp. 667-668; **Leo Gramm.**, p. 240.

٣ ـ **G. Mon. Cont.**, p. 841; **Sym. Mag.**, pp. 688-689; **Leo Gramm.** pp. 254-255; **Zonaras, III**, p. 418.

٤ ـ انظر الفصل الثانى ، حاشية (٣٨) . وانظر أيضا :

Toynbee, **Constantine**, p. 356.

قائمـــــة

المصادر والمراجع والمختصرات الأجنبية(*)

(*) تقتصر هذه القائمة على المصادر والمراجع والمختصرات الاجنبية فقط ، أما المصادر والمراجع العربية والمعربة فقد سجلناها كاملة عند ذكرها أول مرة ضمن حواشى هذه الدراسة .

AAASH	Acta Antique Academiae Scientiarum Hungaricae, Budapest 1952ff.
Adontz, Basile I.	N.Adontz, 'L'âge et l'origine de l'empereur Basil I.(867-886)', B, 8(1933), pp.475-500; 9(1934), pp.223-260.
Adontz, L'Oraison Funèbre	N.Adontz, 'La portée historique de l'Oraison funèbre de Basil I. par son fils Leon VI.l'Sage', B, 8(1933), pp.501-513
Anastos, Iconoclasm	M.Anastos, 'Iconoclasm and Imperial Rule 717-842', CMH, IV, Pt.1(1966), pp.61-104.
Anastos, Transfer of Illyricum	M.Anastos, 'The Transfer of Illyricum, Calabria, and Sicily to the Jurisdiction of the Patriarchate of Constantinople in 732-33', SBN, 9(1957), pp.14-31.
Arethas, Scripta Minora	Arethae Archiepiscopi Caesariensis Scripta Minora, ed.L.G.Westerink (Leipzig, 1968-1972), 2 vols.
AS	Acta Sanctorum, Antwerp 1643ff.
B	Byzantion, Bruxelles (Paris), 1924f
Basilicorum	Basilicorum Libri LX, Ser.A, edd.H.-J. Scheltema, N.Van der Wal (Groningen 1955-) vols. i-viii. Ser.B. edd. H.-J.Scheltema, D.Holwerda, Scholia in Libri i-xlviii (Groningen, 1954-69), 13vols.
Bouscaren, Ellis, Korth, Canon Law	L.Bouscaren, A.Ellis, F.Korth, Canon Law: A Text and Commentary, 4th ed.(Milwaukee, 1963).
Brèhier, Institutions	L.Brèhier, Les institutions de l'empire byzantin (Paris, 1949). [=Le monde byzantin vol.II].
Browning, Correspondence	R.Browning, 'The Correspondence of a Tenth Century Byzantine Scholar', B, 24(1954), pp.397-452.
BSl	Byzantinoslavica, Prague 1929ff.

Buckler, Women in Byz. Law — G.Buckler,'Women in Byzantine Law about 1100 A.D.',B11(1936), pp.391-416.

Bury, Admin. System — J.B.Bury, The Imperial Administrative System in the Ninth Century, with a Revised Text of the Kletorologion of Philotheos (London,1911).

BZ — Byzantinische Zeitschrift,(Leipzig) München 1892ff.

Canard, Deux Épisodes — M.Canard,'Deux épisodes des relations diplomatiques arabobyzantines au x[e] siècle',Bull.d'Et.Or.de l'Inst.fr.de Damas, 13(1949-50),pp.51-69.

CFHB — Corpus Fontium Historiae Byzantinae, Washington 1967ff.

Chrysos, Die Krönung Symeons — E.Chrysos,'Die Krönung Symeons im Hebdomon',Cyrillomethodianum, 3(1975),pp.169-193.

CMH — Cambridge Medieval History,Vol. IV.,2nd revised edn.J.M.Hussey (Cambridge,1966-67).

Codex Justinianus — Codex Justinianus,ed.P.Krüger in: Corp.Jur.Civil.,vol.II (Berlin, 1963).

Codex Theodosianus — Codex Theodosianus:Theodosiani Libri XVI Cum Constitutionibus Sirmondianis,edd.T.Mommsen,P. Meyer et al.(Berlin,1905).

Constantinides, Nikolaos ho Mystikos — J.Constantinides,Nikolaos I.ho Mystikos (Ca.852-925) Patriarches Konstantinopoleos (901-907,912-925). Symbole eis ten ekklesiastiken Kai Politiken historian tou a tetartou 10 A.D. aionos (Athens, 1967).

Corbett, Roman Law of Marriage — P.Corbett, The Roman Law of Marriage (Oxford,1930).

Corp.Jur.Civil. — Corpus Juris Civilis,edd.T.Mommsen, P.Krüger,R.Schöll,W.Kroll (Berlin, 1892-95).Reprint (Berlin, 1945-1963),3vols.

CSHB	Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae (Bonn 1828-1897).
Da Costa-Louillet Saints	G.Da Costa-Louillet,'Saints de Constantinople aux VIII[e], IX[e] et X[e] siècles',B,24(1954),pp.179-263, 453-512; 25-27(1955-1957),pp. 783-852.
DAI	Constantine Porphyrogenitus,De Administrando Imperio, vol.I: Greek Text ed.G.Moravcsik,Eng. trans. by R.Jenkins(Budapest, 1949);vol.II:Commentary ed.R. Jenkins and others (London, 1962).
DDC	Dictionnaire de Droit Canonique, ed.R.Naz,Paris, 1935ff.
De Caerim	Constantini Porphyrogeniti imperatoris De Cerimoniis aulae byzantinae,ed.I.Reiske (CSHB, Bonn 1829-30),2 vols.
Diehl, Byzantine Portraits	C.Diehl,Byzantine Portraits,trans. by H.Bell (New York,1927).
Dölger, Byzanz	F.Dölger,Byzanz und die Europäische Staatenwelt (Ettal,1953/Darmstadt 1964)
Dölger, Regesten (Kais)	F.Dölger,Regesten der Kaiserurkunden des Oströmischen Reiches von 565-1453 (München /Berlin, 1924-1965),5vols.
DOP	Dumbarton Oaks Papers (Cambridge/ Mass.) Washington 1941 ff.
DTC	Dictionnaire de Théologie Catholique ed. A.Vacant,E.Mangeot,et al.(Paris,1905-50),15 vols.
Dvornik, Constantinople and Rome	F.Dvornik,'Constantinople and Rome' CMH,IV,Pt.1(1966),pp.431-472-.
Dvornik,Photian Schism	F.Dvornik, The Photian schism: History and Legend(Cambridge, 1948).

Dvornik, Second Schisme	F.Dvornik,'Le second schisme de Photios.Une mystification historique',B,8(1933),pp.425-474.
Ebersolt,Sainte-Sophie	J.Ebersolt,Sainte-Sophie de Constantinople:Étude de topographie d'après les Cérémonies (Paris, 1910).
Ecloga	Ekloge ton Nomon:Ecloga Legum Leonis et Constantini,ed.K.E. Zachariae von Lingenthal,in: Collectio Librorum Iuris Graeco-Romani(Leipzig,1852),pp.1-52; Reprinted in:JGR(Zepos),II,pp. 1-62.
EHR	English Historical Review,London 1886 ff.
EO	Échos d'Orient,1-39,Paris(Constantinople/Bucarest)1897-1942.
Ephraemius	Ephraemii Monachi,Imperatorum et Patriarcharum,ed.I.Bekker(CSHB, Bonn 1840).
ERE	Encyclopaedia of Religion and Ethics ed. J.Hastings, et al.
Every,Byzantine Patriarchate	G.Every, The Byzantine Patriarchate 451-1204 A.D.(London,1962).
Fischer, De Patriarcharum	F.Fischer,'De patriarcharum Constantinoplitanorum Catalogis', Commentationes Philologae Ienenses,3(1884),pp.263-333.
Fulton,Laws of Marriage	J.Fulton, The Laws of Marriage (London,1883).
G.Mon.Cont.	Georgius Monachus Continuatus, Vita recentiorum imperatorum, ed.I.Bekker in:Theoph.Cont. (CSHB,Bonn 1838),pp.761-924.
Gay,Italie Méridionale	J.Gay,L'Italie méridionale et l'Empire byzantin depuis l'avènement de Basile Ier jusqu'a la prise de Bari par les Normands (867-1071) (Paris,1909),2vols.

Gay, Nicolas le Mystique	J.Gay, Le Patriarche Nicolas le Mystique et son rôle politique Mélanges Charles Diehl (Paris, 1930), I, pp.91-100.
Girard, Droit Romain	P.Girard, Manuel élémentaire de droit romain (Paris, 1924).
Goar, Euchologion	J.Goar, Euchologion Sive Rituale Graecorum (Graz, 1960).
Godefroy, Le Bras, Jugie, Mariage	L.Godefroy, G.Le Bras, M.Jugie, 'Mariage' DTC, 9, Pt.II (1927), cols.2044-2335.
GOTR	Greek Orthodox Theological Review, Brookline/Mass., 1954ff.
Grégoire, Âge Héroique	H.Grégoire, 'L'âge héroique de Byzance', Mélange offerts à N. Jorga (Paris, 1933), pp.383-397.
Grégoire, Macedonians	H.Grégoire, 'The Amorians and the Macedonians 842-1025', CMH, IV, Pt. 1 (1966), pp.105-192.
Grégoire, Neuviéme Siècle	H.Grégoire, 'Études sur le neuvième siècl B, 8 (1933), pp.515-550.
Grierson and Jenkins, Coronation	P.Grierson and R.Jenkins, 'The Date of Constantine VII's Coronation', B, 32 (1962), pp.133-138.
Grumel, Annexion de l'Illyricum	V.Grumel, 'L'annexion de l'Illyricum oriental, de la Sicile et de la Calabre au Patriarcat de Constantinople', Recherches de sciences religieuses, XL. Mélanges Jules Lebreton, II (1952), pp.191-200.
Grumel, La Chronologie	V.Grumel, La Chronologie (Traité d'études byzantines, ed.P.Lemerle, I.) (Paris, 1958).
Grumel, Les Regestes	V.Grumel, Les Regestes des Actes du Patriarcat de Constantinople, Vol.I: Les Actes des Patriarches, fasc.I: 381-715; II: 715-1043; III: 1043-1206 (Socii Assumptionistae Chalcedonenses, 1932, 1936, 1947).

Grumel, *Notes*	V.Grumel,'Notes de chronologie byzantine',*EO*,35(1936),pp.331-335.
Grumel,*Régne de Léon VI*	V.Grumel,'La Chronologie des événements du régne de Léon VI(886-912)',*EO*, 35(1936),pp. 5-42.
Guilland,*Les Noces*	R.Guilland,'Les noces plurales à Byzance', *BSl* 9(1947-48),pp. 9-30.
Hajjar,*Synode Permanent*	J.Hajjar,*Le synode permanent (Synodos Endemoysa)dans l'église byzantine des origines au XI[e] siècle* (*OCA*,164)(Rome,1962).
Halkin,*Bibliotheca*	*Bibliotheca hagiographica graeca* (*Subsidia hagiographica*,8[a]),3rd ed.F.Halkin(Bruxelles,1957),3vols.
Halkin,*Trois Dates*	F.Halkin,'Trois dates historiques précisées grâce au synaxaire',*B*, 24(1954),pp.7-17.
Hergenröther, *Photius*	J.Hergenröther,*Photius,Patriarch von Konstantinopel:sein Leben, seine Schriften und das griechische Schisma* (Regensburg, 1867-69),3vols.
Herman, *Digamon*	E.Herman,'Eyche epi Digamon', *OCP*,I(1935),pp.467-489).
Herman, *Secular Church*	E.Herman,'The Secular Church', *CMH*,IV,Pt.2(1967),pp.104-133.
Iuris Ecclesiastici	*Iuris ecclesiastici Graecorum historia et monumenta*,ed.I. Pitra (Rome,1864-68),2vols.
Jaffé,*Regesta*	P.Jaffé,*Regesta Pontificum Romanorum ab condita ecclesia ad annum post Christum natum 1198* (Berlin,1851);2nd ed.W.Wattenbach and others (Leipzig,1885-88), 2vols.
Janin, *Constantinople*	R.Janin, *Constantinople byzantine: développement urbain et répertoire topographique* (Paris,1950).

Janin, Hiéria	R.Janin,'La banlieue asiatique de Constantinople:Hiéria (Féner-Bagtché)', EO,22(1923),pp.50-58.
Janin,Samonas	R.Janin, 'Un Arabe ministre à Byzance: Samonas (IX^{e}-X^{e} siècle)', EO,34(1935),pp.307-318.
Jenkins,Chronological Accuracy	R.Jenkins,'The Chronological Accuracy of the "Logothete" for the years A.D.867-913',DOP,19 (1965),pp.91-112.
Jenkins, Consolatio	R.Jenkins,'A"Consolatio"of the Patriarch Nicholas Mysticus',B, 35 (1965),pp.159-166.
Jenkins,Flight of Samonas	R.Jenkins,'The Flight of Samonas', Speculum,23/2(1948),pp.217-235.
Jenkins, Imperial Centuries	R.Jenkins, Byzantium: The Imperial Centuries A.D.610-1071 (London, 1966).
Jenkins, Leo Choerosphactes	R.Jenkins,'Leo Choerosphactes the Saracen Vizier', RTIEB,8(1963) p.167-175.
Jenkins, Letter to the Emir	R.Jenkins,'A Note on the "Letter to the Emir" of Nicholas Mysticus', DOP, 17(1963),pp.399-401.
Jenkins, Nicholas Mysticus	R.Jenkins,'A Note on the Patriarch Nicholas Mysticus',AAASH, 11(1963), pp.145-147.
Jenkins, Tetragamy	R.Jenkins,'Three Documents concerning the "Tetragamy",DOP,16(1962), pp.229-241.
Jenkins and Laourdas, Letters of Arethas	R.Jenkins and B.Laourdas,'Eight Letters of Arethas on the Fourth Marriage of Leo the Wise', Hellenika, 14(1956),pp.293-372.
Jenkins, Laourdas, Mango,Nine Orations	R.Jenkins,B.Laourdas,C.Mango,'Nine Orations of Arethas from Cod.Marc. Gr. 524',BZ,47(1954),pp.1-40.
JGR(Lingenthal)	Jus Graeco-Romanum,ed.C.E.Zachariae von Lingenthal,Part III:Novellae Constitutiones (Leipzig,1857), pp.220-318.

JGR (Zepos)	*Jus Graeco-Romanum*, edd.I. and P. Zepos (Athens,1931),8vols.
JÖB	Jahrbuch der Österreichischen Byzantinistik,18-Wien(Köln/Graz), 1969ff.
Joyce,*Christian Marriage*	G.Joyce,*Christian Marriage:A Historical and Doctrinal Study*, 2nd ed.(London,1948).
JTS	Journal of Theological Studies, London 1900ff.
Jugie, *Notes*	M.Jugie,'Notes de litérature byzantine',*EO*,26(1927),pp,408-425
Jugie, *Vie d'Euthyme*	M.Jugie,'La Vie et les oeuvres d'Euthyme Patriarche de Constantinople', *EO*,16(1913),pp.385-395.
Just.,Nov.	*Iustiniani Novellae*, ed.R.Schöll in: *Corp.Jur.Civil*.,vol.III (Berlin,1963).
Karlin-Hayter, *Alexander's Bad Name*	P.Karlin-Hayter,'The Emperor Alexander's Bad Name',*Speculum*,44 (1969),pp.585-596.
Karlin-Hayter, *Andronicus Ducas*	P.Karlin-Hayter,'The Revolt of Andronicus Ducas',*BSl*,27(1966) pp.23-25.
Karlin-Hayter, *Arethas Documents III*.	P.Karlin-Hayter,'New Arethas Documents III',*B*,32(1962),pp. 117-127.
Karlin-Hayter, *Arethas Documents IV*	P.Karlin-Hayter,'New Arethas Documents IV',*B*,32(1962),pp.387-487.
Karlin-Hayter, *Arethas Documents V*	P.Karlin-Hayter,'New Arethas Documents V',*B*,34(1964),pp.49-67.
Karlin-Hayter, *Basileopator*	P.Karlin-Hayter,'The Title or office of Basileopator',*B*,38 (1968),pp.278-280.
Karlin-Hayter, *Mort de Theophano*	P.Karlin-Hayter,'La mort de Théophano (10.11.896 ou 895)', *BZ*,62(1969),pp.13-19.

Karlin-Hayter, New Arethas Texts — P.Karlin-Hayter,'New Arethas Texts for the Historical study of the Vita Euthymii',B,31(1961),pp.273-307.

Karlin-Hayter,Para Koimomène Constantin — P.Karlin-Hayter,'Le Parakoimomène Constantin l'Eunuque était Euthymien', B,33(1963),pp.251-252.

Karlin-Hayter, Prèhistoire — P.Karlin-Hayter,'La "prehistoire" de la dernière volonté de Léon VI', B,33(1963),pp.483-486.

Karlin-Hayter, Synode — P.Karlin-Hayter,'Le synode à Constantinople de 886 à 912 et le rôle de Nicolas le Mystique dans l'affaire de la tetragamie', JÖB,19(1970),pp.59-101.

Karlin-Hayter, Texts — P.Karlin-Hayter,'Texts for the Historical Study of the "Vita Euthymii",B,28(1958),pp.363-389.

Karlin-Hayter, Vita S. Euthymii — P.Karlin-Hayter,'Vita S.Euthymii', B,25-27(1955-1957),pp.1-172, 747-778.

Kolias,Leon Choerosphactès — G.kolias, Léon Choerosphactés magistre, proconsul et patrice: Biographie-Correspondance (texte et Traduction)(Athens, 1939). [=Texte und Forschungen zur Byzantinisch-Neugriechischen Philologie.Nr31].

Kougeas,Kaisareias Arethas — S.Kougeas,ho Kaisareias Arethas Kai to Ergon autou:Symbole eis ten historian tes protes anageneseos ton ellenikon grammaton en Byzantio (Athens,1913).

Lambros and Kougeas Epistole Niketa — S.Lambros and S.Kougeas,'Anonymos Epistole Niketa tou Paphlagonos pros Arethan ton Kaisareias', Neos Hellenomnemon,8(1911),pp. 301-314.

Leo Gramm. — Leonis Grammatici Chronographia, ed.I.Bekker (CSHB,Bonn 1842).

Loud, *Coronation of Symeon*	G.Loud,'A re-examination of the "Coronation" of Symeon of Bulgaria in 913',*JTS*, 29(1978),pp.109-120.
Maas, *Der Interpolator*	P.Maas,'Der Interpolator des Philotheos',*BZ*,34(1934),pp.257-261.
Mango, *Homilies of Photius*	*The Homilies of Photius Patriarch of Constantinople*,Eng.trans., introduction and commentary by C. Mango (Cambridge/Mass.1958). [=Dumbarton Oaks Studies,III].
Mavrogordato, *Digenes Akrites*	J. Mavrogordato,*Digenes Akrites* (Oxford,1956).
Meyendorff, *Marriage*	J.Meyendorff,*Marriage:An Orthodox Perspective*(New York,1970).
Meyendorff, *Paschal Mystery*	J.Meyendorff,'Marriage-A Paschal Mystery',*Concern*,IV/2(1969),pp. 11-14.
Milaš, *Das Kirchenrecht*	N.Milaš,*Das Kirchenrecht der morgenländischen Kirche*,2nd ed. (Mostar,1905).Greek trans.by M. Apostolopoulos (Athens,1906).
Naz, *Mariage en Droit Occidental*	R.Naz,'Mariage en droit occidental', *DDC*,VI(1957),Cols. 740-787.
Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters	*Nicholas I Patriarch of Constantinople Letters*,ed.and trans.R. Jenkins & L.Westerink (*CFHB* 6, Dumbarton Oaks,Washington 1973).
Nomocanon	*Nomocanon XIV Titulorum*, in:*Syntagma (RP)*,Vol.I,pp.1-335.
Novellae Leonis	*Les Novelles de Léon VI le Sage*, ed. et trad.A.Dain,P.Noailles (Paris,1944).
OCA	Orientalia Christiana Analecta, Rome 1923ff.
OCP	Orientalia Christiana Periodica, Rome 1935ff.

Ohnsorge, Abendland und Byzanz	W.Ohnsorge, Abendland und Byzanz (Darmstadt, 1963).
Ohnsorge, Töchter Kaiser Leons VI.	W.Ohnsorge, 'Zur Frage der Töchter Kaiser Leons VI', BZ, 51 (1958), pp. 78-81.
Oikonomidès, Dernière Volonté	N.Oikonomidès, 'La dernière volonté de Léon VI au sujet de la tétragamie', BZ, 56 (1963), pp. 46-52.
Oikonomidès, Préhistoire de la dernière Volonté.	N.Oikonomidès, 'La "Préhistoire" de la dernière volonté de Léon VI au sujet de la tétragamie', BZ, 56 (1963), pp. 265-270.
Oikonomidès, Préséance	N.Oikonomidès, Les Listes de préséance byzantines des IXe et Xe siècles (Paris, 1972).
Ostrogorsky, State	G.Ostrogorsky, History of the Byzantine State, Eng. trans. J. Hussey (Oxford, 1968).
Patrinacos, Character of Marriage	N.Patrinacos, 'The Sacramental Character of Marriage: A Study of the Practice of the Greek Orthodox Church on the Basis of St. Paul's Theology of Marriage', GOTR, I/2 (1955), pp. 118-132.
PB	Poikila Byzantina, Berlin 1981ff.
Petit, Homélies de Léon le Sage	L.Petit, 'Note sur les homélies de Léon le Sage', EO, 3 (1900), pp. 245-249.
PG	Patrologiae Cursus Completus, series Graeco-Latina, ed. J.P. Migne (Paris, 1857-1866; 1880-1903). 161 vols.
Picot, Mariage Romain	J.Picot, Du mariage romain, chrétien et français (Paris, 1849).
PL	Patrologiae Cursus Completus, series Latina, ed. J.P. Migne (Paris, 1844-1855; 1862-1864), 221 vols.

Polemis,The Doukai	D.Polemis, The Doukai:A contribution to Byzantine Prosopography(London, 1968).
Popov,Imperator Leo VI	N.Popov,Imperator Leo VI i ego pravlenie V Cherkovnom otnoshenii (Moscow,1892).
Pospishil,Divorce and Remarriage	V.Pospishil,Divorce and Remarriage: Towards a New Catholic Teaching (New York,1967).
Previté-Orton, Charles Constantine	C.Previté-Orton,'Charles Constantine of Vienne',EHR,29(1914),pp. 703-706.
Prochiron	Ho Procheiros Nomos.Imperatorum Basilii, Constantini et Leonis Prochiron,ed.K.E.Zachariae von Lingenthal (Heidelberg, 1837). Reprinted in:JGR(zepos),II, pp.108-228.
Psellos,Chronographie	M.Psellos,Chronographie,ed.F. Renauld(Paris,1926-28),2vols.
Ramsay,Historical Geography	W.Ramsay, The Historical Geography of Asia Minor(London 1890/ Amsterdam 1962).
RH	Revue Historique,Paris 1876ff.
Ritzer,Le Mariage	K.Ritzer,Le mariage dans les églises chrétiennes du I.er au XI.e siècles (Paris,1970).
Rivers,Marriage	W.Rivers,et al.,'Marriage',ERE, 8(1951),pp.423-472.
RTIEB	Reçueil de Travaux de l'Institut d'Etudes Byzantines (Mélanges G.Ostrogorsky I),Belgrade 1955ff.
Runciman, Romanus Lecapenus	S.Runciman,The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign:A study of Tenth-Century Byzantium(Cambridge, 1963).
Salaville,Léon VI Le Sage	S.Salaville,'Léon VI Le Sage', DTC,IX/1(1926),Cols.365-394.

SBN	Studi Bizantini e Neoellenici, Rome 1924ff.
Scylitzes	Ioannis Scylitzae Synopsis Historiarum, ed. I. Thurn (CFHB 5, Berlin/New York 1973).
Serruys, Homélies de Léon Le Sage	D. Serruys, 'Les homélies de Léon le Sage', BZ, 12 (1903), pp. 167-170.
Ševčenko, Poems	I. Ševčenko, 'Poems on the Deaths of Leo VI and Constantine VII in the Madrid Manuscript of Scylitzes', DOP, 23-24 (1969-1970), pp. 185-228.
Speck, Das Geteilte Dossier	P. Speck, Das geteilte Dossier: Beobachtungen zu den Nachrichten über die Regierung des Kaisers Herakleios und die seiner Söhne (PB 9, Bonn 1988).
Stephani Papae V Epistolae	Stephani Papae V. Epistolae, Diplomata et Privilegia, ed. J.P. Migne in: PL, 129, Ep. IV, cols. 795-796.
Sym. Mag.	(=Pseudo Symeon) Symeonis Magistri et Logothetae Chronographia, ed. I. Bekker in: Theoph. Cont. (CSHB, Bonn 1838), pp. 601-760.
Syntagma (RP)	Syntagma ton Theion Kai hieron Kanonon, edd. G. Rhalles, M. Potles (Athens, 1852-59), 6 vols.
Theodori Studitarum Epistolae	Theodori Praepositi Studitarum Epistolae, ed. J.P. Migne in: PG, 99, Cols. 904-1669.
Theophanes	Theophanis Chronographia, ed. C. De Boor (Leipzig, 1883-85), 2 vols.
Theoph. Cont.	Theophanes Continuatus, Ioannes Cameniata, Symeon Magister, Georgius Monachus Continuatus, ed. I. Bekker (CSHB, Bonn 1838), pp. 1-211; 354-481.
Toynbee, Constantine	A. Toynbee, Constantine Porphyrogenitus and His World (London, 1973).

Underwood and Hawkins, Emperor Alexander — P.Underwood and E.Hawkins, 'The Mosaics of Hagia Sophia at Istanbul the Portrait of the Emperor Alexander', DOP, 15(1961), pp.187-217.

Vasiliev, Byzantine Empire — A.A.Vasiliev, History of the Byzantine Empire 324-1453 A.D. (Madison, 1971-73), 2vols.

Vasiliev, Byzance et les Arabes — A.A.Vasiliev, Byzance et les Arabes i: La dynastie d'Amorium (820-867); ii: La dynastie Macédonienne (867-959). Ed. francaise par H.Grégoire, M.Canard (Corpus Bruxellense Hist.Byz.i,ii) (Bruxelles 1935,1950).

Villien, Divorce — A.Villien, 'Divorce', DTC, IV, Pt.2 (1911), Cols.1455-1478.

Vita Antonii — Vita S.Antonii Patriarchae CP, AS Feb.II, pp.622-629.

Vita Basilii Junioris — Ex Basilii Junioris Vita, ed. J.P. Migne in: PG 109, cols.653-664.

Vita Euthymii — Vita Euthymii Patriarchae CP.: Text, Translation, Introduction and Commentary by P.Karlin-Hayter (Bruxelles, 1970). [=Bibliothèque de Byzantion 3].

Vita Sanctae Theophano — Vita Sanctae Theophano, ed. E.Kurtz in: Zwei griechische Texte über die heilige Theophano, die Gemahlin Kaisers Leo VI (St.Pétersbourg, 1898). [=Mémoires de l'Académie Impérial des Sciences de St.Petersbourg, VIII^{e} série, Cl. historico-Philol., III/2].

Vogt, Léon VI — A.Vogt, 'La jeunesse de Léon VI le Sage', RH, 174(1934), pp.389-428.

Vogt, Patriarches de Constantinople — A.Vogt, 'Note sur la chronologie des Patriarches de Constantinople aux IX^{e} et X^{e} siècles', EO, 32(1933), pp.275-278.

White, Patriarch Photios — D. White, Patriarch Photios of Constantinople: His life, scholarly contributions, and correspondence together with a translation of fifty-two of his letters (Brookline/Mass., 1981).

Zhishman, Das Eherecht — J. Zhishman, Das Eherecht der orientalichen Kirche (Vienna, 1864), 2vols. Greek trans. with additions by M. Apostolopoulos (Athens, 1912).

Zonaras — Ioannis Zonarae epitomae historiarum, edd. M. Pinder, T. Büttner-Wobst (CSHB, Bonn 1841-1897), 3vols.



فهـــرس

بأســماء الأعلام والأماكن والمصطلحات

(أ)

(ب)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(ك)

(ل)

(م)

محتویات الکتاب

الفصـــل الأول

الفصـــل الثانى

الفصـــل الثالث

الفصـــل الرابع

الفصـــل الخامس

الفصـــل السادس

الفصـــل السابع

الفصـــل الثامن

الفصـــل التاسع


قرش جنيه